الجمهوريّة الجـزائريّة الديمقـراطيّة الشــعبيّة
وزارة التعليم العالي والبحث العلـميّ
جامعة محمد بوضياف ـ المسيلة
كليّة الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربيّ

دروس الأعمال المُوجّهة في مادّة البلاغة العربيّة

مُوجَّهة إلى طلبة الجذع المُشترَك ـ السّنة الأولى ـ تكوين قاعديّ

إعداد الأستاذ: مُـــــراد قُـــفِّي

الموسم الجامعيّ: 2019/2018

محتوى مادّة البلاغة العربيّة

1. **علم البلاغة (مفهومه ونشأته وتطوره وفروعه)آراء أهل المشرق والمغرب**
2. **أثر الفرق الكلاميّة في تأصيل البلاغة (المجاز عند المعتزلة نموذجا)**
3. **الأسلوب الخبريّ وأضربه**
4. **الأسلوب الإنشائيّ وأضربه**
5. **التقديم والتأخير. الفصل والوصل**
6. **الحقيقة والمجاز. أنواع المجاز**
7. **التشبيه وأضربه**
8. **الاستعارة. الكناية**
9. **المطابقة. المقابلة**
10. **الجناس. السجع**
11. **البلاغة والأسلوبيّة**

1. علم البلاغة (مفهومُه ونشأته وتطوّرُه وفروعُه)
وآراء أهل المشرق والمغرب

عناصر الموضوع:

أ. مفهوما الفصاحة والبلاغة

ب. نشأة علم البلاغة

ج. تطوّره

د. فروعُه

ه. تدريب

أ. مفهوما الفصاحة والبلاغة

I. الفصاحة

1/ تعريفها:

تَنصرفُ دلالة الفصاحة في أصل الوضع اللغويّ إلى معنى الظهور والبيان، فهي من قولهم: أفصــح فلانٌ عمّا في نفســه إذا أظهرَه، والدّليل على ذلك قولُ العرب: أفصــحَ الصبح إذا ظهر وأضاء، وأفصح اللبن إذا انجلتْ عنه رغوته فظهر، وأفصحَ الأعجميُّ، إذا أبان بعد أنْ لم يكن يُفصح ويُبين، وفصُح اللَّحّان، أي كثيرُ اللحن والخطأ، إذا عبّر عمّا في نفسه وأظهره على جهة الصواب دون الخطأ.[1]

ولعلّ هذا الاتّصال الشّديد بين معنَييّ البلاغة اللغويّ والإصلاحيّ، هو ما جعل القدماء يستعملون البلاغة والفصاحة بمعنى واحد. فلقد ظلّتِ الكلمتان عندهم مترادفتَين حتى القرن الرابع تقريبا، فالبلاغة هي الفصاحة، وكذلك هي عند كثيرين ممّن تحدّثوا عن الفصاحة وشروطها وهم يريدون البلاغة، ذلك أنّ معنى الكلمتين اللغويّ واحد تقريبا، فالإبلاغ عمّا في النفس هو الإفصاح، وأفصح عما في نفسه أعرب عما فيها وأبان، وهكذا ترجع الكلمتان إلى معنى واحد، من قبيل اتّفاق المعاني على اختلاف الأصول والمباني.[2]

وفي هذا السياق، يَذكر أبو هلال العسكريّ نقلا عن بعض علماء العربيّة، أنّ الفصاحة تمامُ آلة البيان، فلهذا لا يجوز أن يُسمّى الله تعالى فصيحا، إذ كانت الفصاحة تتضمن معنى الآلة، ولا يجوز على الله تعالى الوصف بالآلة، وإنما يُوصف كلامُه بالفصاحة، لما يتضمّن من تمام البيان، والدليل على ذلك عنده أنّ الألثغ والتّمتام لا يُسمّيان فصيحَين لنقصان آلتهما عن إقامة الحروف، وسُمّي الشاعرُ الأمويّ زيادُ بن سليمان مَولى عبد القيس لنقصان آلة نطقه عن إقامة الحروف.[3]

1- يُنظر: أبو هلال العسكريّ، كتاب الصناعتين، تح: عليّ محمّد البجاوي وَ محمّد أبو الفضل إبراهيم، ط1. دار إحياء الكتب العربيّة عيسى البابي الحلبيّ وشركاه، القاهرة، مصر، 1952، ص7. **وَيُنظر:** عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربيّة، علم المعاني، البيان، البديع، د/ط. دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د/ت، ص11.

2- يُنظر: مازن المبارك، الموجز في تاريخ البلاغة، د/ط، دار الفكر، دمشق سوريا، د/ت، ص20

3- يُنظر: أبو هلال العسكريّ، كتاب الصناعتين، ص7- 8.

2/ شروطُها:

يَكادُ علماءُ البلاغة[1] أنْ يُجمعوا على شروط أربعة عَدَميّة للفصاحة، فمتى توفّر شرطٌ منها في كلام خرجَ مِن دائرة الفصاحة، وتلك الشروط هي:

✓ الغرابة:

والغرابة في الكلمة كونُها قليلة الوضوح، غير ظاهرة المعنى ولا مألوفة الاستعمال، عند فصحاء العرب، وبلغائهم، في شعرهم ونثرهم، لا عند المولدين ومن بعدهم، فأكثر الكلام العربي الفصيح غريب عند فصحاء العرب وبلغائهم.

والغرابة إمّا أنْ تكون بسبب نُدرة استعمال الكلمة عند العرب، وإمّا أنْ تكون بسبب أنّ التوصل إلى الموادّ منها في الكلام، يحتاج إلى تخريج متكلّف بعيد، ومثلوا للغريب النادر بكلمات: (مُسحنفرة) بمعنى (مُتّسعة). و(بِعاق) بمعنى (مَطر).و(جَردحل) بمعنى (الوادي). و(جحمرش) للمرأة العجوز.و (اطلخم) بمعنى: اشتد.و (تكأكأتم) بمعنى: اجتمعتم. فهذه الكلمات غير فصيحة لغرابتها.

✓ تنافر الحروف:

أي كوْنُ الكلمة ثقيلةً على السّمع، وصعبةً في أداء اللّسان، مثل: (مُستَشْزِرَاتٌ) بمعنى مُرتفعات. و (الهُعْخُع): اسم نبات. وقد تكون الكلمات فصيحة غيرَ أنّ اجتماعها مع بعضها يُحدث تنافرا وثقلا، مثل قولهم:

وقَبرُ حَربٍ بمكانٍ قَفرٍ ** ولَيسَ قُربَ قَبرِ حَربٍ قَبرُ

فقد جاء الثقل مِن تَكرار الرّاء والباء والبيت، وقيل: إنّ هذا البيت لا يتهيّأ لأحد أنْ يُنشدَه ثلاث مرّات متواليّات دون أن يَتَتعْتع، لأنّ اجتماع كلماته وقربَ مخارج حروفها، يُحدثان ثقلا ظاهرا، مع أنّ كلّ كلمة منه لو أُخذت وحدَها، كانت غيرَ مَستكرَهة ولا ثقيلة.

✓ مخالفة القياس النحويّ أو الصرفيّ:

1- يُنظر: أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، ط3. دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1993، ص17 وما بعدها. **وَيُنظر:** أيمن أمين عبد الغنيّ، الكافي في البلاغة، البيان والمعاني والبديع، د/ط. دار التوفيقيّة للتراث، القاهرة مصر،2011، ص30 وما بعدها.

وهو كونُ الكلمة شــاذّة خارجيّة، مُخالفة لقواعد النّحو أو الصّــرف، ومن أمثلة ما هو مخالف للقياس من الكلمة فكّ الحرف المُضـــعّف في الكلمة التي يقتضـــي القياس فيها إدغامها بحرف مُشـدّد، نحوُ كلمة (الأجلل) والقياس أنْ يقال فيها (الأجلّ) بإدغام اللام، ولا مسموع لفكّه. ومنه قول أبي نجم بن قدامة:

الحمدُ لله العليِّ الأجْلـَـ ** ـلِ أنتَ مليكُ النّاسِ ربّاً فاقبلِ

وكقول المتنبّي:

إذا كانَ بعضُ النّاس سيفاً لِدولةٍ ** فَفي النّاسِ بُوقاتٌ لها طُبُـولُ

والقياسُ (أبواق) وليس بُوقات، وهذا مُخالفٌ للقياس الصرفيّ.

✓ كراهية السّمع لها:

وهو كونُ الكلمة مكروهة في السـمع، حيث إنّها تبدو خشـنة وَحشـية، تأنف منها الطباع، ومثلوا لهذا العيب، بنفور السّـمع مِن كلمة (الجِرِشـيّ) بمعنى (النّفس) فعابوا على أبي الطيّب المتنبيّ في قوله يمدح سيف الدولة:

مُباركُ الاسمِ أغرُّ اللّقْب ** كريمُ الجِرشَيّ شريفُ النّسبْ

وكريم الجرشيّ: أي كريم النّفس.

II. البلاغة:

وإنّه بالانتقال من الفصـاحة إلى البلاغة، تبدو المفردتان مُتقاربتَين في اللغة، إذ إنّ البلاغة هي الوصـول إلى الشـيء، والانتهاء إليه، ومن قولهم بلغتُ الغاية إذا انتهيتُ إليها، وجاء في لسان العرب «بلغ الشيء يبلغ بلوغا وبَلاغا وبلاغة: وَصلَ وانتهى»[1] والإبلاغُ الإيصالُ ومنه قوله تعالى:

﴿ **فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ**﴾ [الطلاق/2] أي قاربنَهُ.

وسُـــمّيت البلاغةُ بلاغةً، لأنّها تُنهي المعنى إلى قلب الســـامع فيفهمَه، فقال (أبو هلال العســكريّ المتوفّى 395هـــــ): «البلاغة من قولهم: بلغتُ الغاية إذا انتهيتُ إليها،

1- ابن منظور، لسان العرب، مادة (ب ل غ)

وبلّغتُها غيري. ومبلغ الشـــيء منتهاه. والمبالغة في الشـــيء الانتهاء إلى غايته، فسُـــمّيت البلاغة بلاغةً لأنها تُنهي المعنى إلى قلب السّامع فيفهمَه.» [1]

وأورد (ابن رشيق القيروانيّ المتوفّى 406هـ) في كتابه العمدة[2] طائفة مِن الآراء في تحديد مفهوم البلاغة كما تصوّرها أصحابها وردت في هذه الأقوال:

قيل لأحدهم: ما البلاغة؟ فقال: إصابة المعنى وحسن الإيجاز، وسئل بعض الأعراب: من أبلغ الناس؟ فقال: أسهلهم لفظا، وأحسنُهم بديهة.

وقال خلف الأحمر: البلاغة لمحة دالّة.

وقال الخليل بن أحمد: البلاغة كلمة تكشف عن البقية.

وقال المُفضّـــل الضـــبيّ: قلتُ لإعرابي: ما البلاغة عندكم؟ فقال: الإيجاز من غير عجز، والإطناب من غير خطَل.

وكتب جعفر بن يحيى بن خالد البرمكيّ إلى عمرو بن مســـعدة: إذا كان الإكثار أبلغَ كان الإيجاز تقصيرا، وإذا كان الإيجاز كافيا كان الإكثار عيّاً.

وقيل لبعضـهم: ما البلاغة؟ فقال: إبلاغ المُتكلم حاجتَه بحُسـن إفهام السّـامع، ولذلك سُـمّيت بلاغة.

وقال آخر: البلاغة مَعرفة الفَصل من الوَصل.

وقيل البلاغة: حُسن العبارة، مع صحّة الدلالة.

وقيل البلاغة: القوّة على البيان مع حسن النظام.

وقالوا: البلاغة ضدّ العِيّ، والعيّ: العجزُ عن البيان.

وقيل لأرسطاطاليس: ما البلاغة؟ قال: حُسن الاستعارة.

وقيل لخالد بن صفوان: ما البلاغة؟ قال: إصابة المعنى والقصدِ إلى الحُجّة.

ولعلّ مرجعَ هذا التبـايُن في تعريف البلاغـة، هو اختلافهم في تحديد خصـــائص الكلام البليغ في بنيته اللغويّة الخالصـــة، فهناك مَن يَعزوها إلى الإيجاز، وهناك آخر يَروقه الإطناب والاســـترســـال في الحديث، لذلك كان أقربُ تعريف لبلاغة الكلام هو «مُطابقته

1- أبو هلال العسكريّ، كتاب الصناعتين، ص6.

2- يُنظر: ابن رشيق القيروانيّ ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: محمّد مُحي الدين عبد الحميد، ط5. دار الجيل، القاهرة، مصر، 1981، 1/242- 246.

لمقتضـــى الحال مع فصـــاحته، ومقتضـــى الحال مختلف فإن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التنكير يبـاين مقـام التعريف، ومقـام الإطلاق يبـاين مقـام التّقييد، ومقـام التّقديم يُبـاين مقـام التأخير، ومقامُ الذكر يُباين مقام الحذف، ومقامُ القصـــر يُباين مقام خلافه، ومقام الفصـــل يُباين مقام الوصـل، ومقامُ الإيجاز يُباين مقام الإطناب والمسـاواة، وكذا خطاب الذكيّ يباين خطاب الغبيّ، وكذا لكلّ كلمة مع صاحبتِها مقام.» [1]

ب. نشأة علم البلاغة

إنّـه لمّـا كانت نشـــأة أيّة معرفة علميّة تأتي متأخّرة عن نشـــأة الظاهرة محلّ تلك الدراسـة العلميّة، وَجَب التمييز، في الحديث عن نشأة البلاغة العربيّة، بين مجالَين مختلفين للبلاغة؛ البلاغةُ بوصـــفها صـــفة للكلام، والبلاغة من حيث هي علم يَدرس تلكم الصـــفةَ وقوانينَـها التي تضـــبطهـا، فبلاغـة الكلام العربيّ وُجدتْ مـذ وُجـد المتكلم العربيّ، بـل إنّ الشـعر الجاهليّ قد وصـل إلى ما وصـل إليه في ذلك العصـر، من دون أنْ تكون للشـعراء درايـة بعلوم اللغـة أو بقوانين البلاغـة، فكـانـت بـذلك البلاغة، من حيث هي مجال معرفيّ، فنّا من فنون اللغة العربيّة وعِلما من علومها في آن معاً، لا يســـتغني عنه أديبٌ أو ناقد، به تُعرف سبل القول وطرائقُ التّعبير.

ومـا مِن شـــكّ في أنّ بـذور علم البلاغـة كانت مُحتواةً في ثنايا علوم عديدة لغويّة وشـرعيّة، ولم يكن استقلال مباحثها إلاّ في مراحل متأخّرة، فكان في **علم النحو** ما يؤسّس لأحد أهمّ شـــروط فصـــاحة الكلام، وهو مراعاة مبدأ القياس، وفي موضـــوعات النحو ما يتقاطع كثيرا مع موضـــوعات البلاغة العربيّة، وبخاصّـــة علم المعاني منها، بل إنّ علم المعاني بحدّ ذاته يعدّ فلسـفة الدراسـة النحويّة وأرقى صـورة بلغتْها يومئذ؛ فكتاب سـيبويه نفسُـــه لم يكن نحوا خـالصـــا، «بل يشـــتمل على مختلف علوم العربيّة (...) وحديثٍ عن القراءات، والنحوِ والصّرف والبلاغةِ، ومخارج الحروف.» [2]

وإذا كـان النحو العربيّ قـد وُجـد لحفظ القرآن الكريم من اللّحن، الـذي مـا فتئ يستشري في البيئة العربيّة الإسلاميّة، فإنّ البلاغة العربيّة أوجدتْها، أو سرّعتْ بوجودها،

1- الخطيب القزوينيّ، الإيضاح في علوم البلاغة، تح: إبراهيم شمس الدين، ط1. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003، ص20.

2- صالح بلعيد، التراكيب النحويّة وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجانيّ، د/ط. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1994، ص70. **وَيُنظر:** مازن المبارك، الموجز في تاريخ البلاغة، ص50 - 51.

أســـئلـة معرفيّـة مُلّحـة، من قبيـل، كيف يكون القرآن الكريم مُعجزا؟ وأين يســـتقرّ منـاط إعجازه؟ ولعلّ عِلمَ التّفسير، أحدُ العلوم التي حاولتْ الإجابة عن هذه الأسئلة ذات الصـبغة البلاغيّـة، ممّـا أثرى الحقل البلاغيّ بمفـاهيم تشـــمل الظاهرة البلاغيّة في مختلف تجليّاتها الأدبيّة والتخاطبيّة.

ج. تطوّر علم البلاغة

إنّ ممّا تتسّم به أيّة حركيّة معرفيّة علميّة أنّها لا تنشـأ النشـأةَ الأولى مُكتملةَ البناء، واضـحة المعالم، إنّما تكون بسيطة ابتداءً، وتبدأ بالتدرّج قليلاً قليلا عبر خط الزمن، لتزداد نُضــجا واتّســاعاً ودقّة وضــبطاً، وإنّ الدرس البلاغيّ ليس بِدْعاً في ذلك، فقد قطع مراحل زمنيّة عدّة، وُصُــولا إلى مرحلة التأســيس الفعليّ بالصــورة الختاميّة التي يُرى عليها في مصنّفاته المخصوصة.

- **المرحلة الأولى**:

- تظهر من خلال كتاب "مجاز القرآن" لِــ (أبي عبيدة معمر بن المثنّى المتوفى 210 هــ)؛ فبالرغم من أنّه لم يكن كتاباً بلاغيّا خالصـــا، إنّما كان كتابا في التفســـير، حيث تناول فيه صــاحبه شــرحا لألفاظ قرآنية بما يقابلها في كلام العرب، فَقَدْ تخلّلت بعضَ تفسـيره لآيات القرآن الكريم ملحوظاتٌ بلاغيّة عديدة.[1]

- جهود (الفرّاء المتوفى 207 هـــــ)، وهو أبو زكريـا يحيى بن زيـاد الفرّاء، من علماء الكوفة الأوائل، اشتغل بالنحو واللغة وبالأدب وفنونه، صـاحب "معاني القرآن"، وهو كتاب عُني فيه بالتخريج النحويّ للآيات وبشرح الألفاظ شرحاً لغويّاً، تؤيّده شواهد الشعر وأوجهُ الاسـتعمال المعروفةُ، مُسـتأنسـاً في كلّ ذلك بمذاهب العرب في كلامها، وقد ضـمّن مؤلّفه عدداً من الآراء البلاغيّة[2]

- جهود (الجاحظ المتوفّى 255 هـ) في كتابه "البيان والتبيين" وهو كتاب شامل، وفيه أشار إلى بعض الفنون البلاغيّة، من اسـتعارة وتشـبيه وإيجاز وإطناب، وسـواه. ولعلّ الجاحظ

1- يُنظر: مازن المبارك، الموجز في تاريخ البلاغة، ص42.

2- يُنظر: نفسُـــــه، ص38، وما بعدها.

كان من أوائل الذين تحدّثوا عن موضـــوع الإعجاز، وعلّلوه بما في القرآن الكريم مِن نظم غريب، وما في تأليفه من تركيب بديع، بل إنّه أفرد كتابا لذلك سمّاه "نظم القرآن" [1]

- جهود (ابن قتيبة الدينوريّ، المتوفّى 276هـــ) أحد تلامذة الجاحظ صاحب كتاب "مُشكل القرآن" [2] تصـــدّى من خلاله إلى الطاعنين في القرآن وفي أســـلوبه، وفيه تحدّث فيه عن العرب وعن العربيّة وما خصّــها الله به من قوة بيان وجودة أســلوب، وعن ظاهرة إعجاز القرآن، مُشـــيرا إلى بعض المفاهيم البلاغيّة من مجاز واســـتعارة وقلب وإيجاز في الكلام وزيادة فيه، وتكنيّة المعاني، بمخالفة ظاهر اللفظ معناه. وممّا تميز به ابن قتيبة عن ســابقيه هو وضعُه لكلّ لون من هذه الألوان باباً مخصوصاً.

- جهود (أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد المتوفّى 285هـ) صنع كتابا ضخما سمّاه "الكامل في اللغة والأدب"، وأوْرد فيه كثيراً من موضوعات البلاغة، مثل باب التشبيه وقضاياه.

- جهود (ابن المعتز المتوفّى 296هـ) في كتاب "البديع"، ويَشمُل البديع عنده كثيراً من فنون البلاغة، من استعارة وكناية وتشبيه ومطابقة وجناس، على خلاف معنى البديع الذي عُرف به عند المتأخرين.

هذا، وقد توالتِ المؤلفاتُ في هذه المرحلة تتناول القضايا البلاغيّة المختلفة، لتمهّد الطريق لبلاغيّين آخرين اضطلعوا بمهمّة إرساء قواعد درس بلاغيّ يجنح إلى التخصّص والاكتمال، ليكون أحدَها كتابُ "سرّ الفصاحةّ وسحر البراعة" لِابن سنان، وكتاب "تلخيص البيان في مجازات القرآن" للشّـــريف الرضـــيّ، و"إعجاز القرآن" للباقلّانيّ، و"النِّكت في إعجـاز القرآن" للرمـانيّ، و"العمـدة" لِابن رشـــيق القيروانيّ، وغيرُ ذلـك كثير في جهود المشارقة والمغاربة. [3]

- **المرحلة الثانية**

- وتتصـــدّر آثارَ هذه المرحلة جهودُ الإمام (عبد القاهر الجرجانيّ. المتوفى 471هـــــ) إذ وضـــع نظريتيّ علميّ المعاني والبيان في كتابَيه الشـــهيرَين "دلائل الإعجاز" و"أســـرار البلاغة" على الترتيب.

1- يُنظر: مازن المبارك، الموجز في تاريخ البلاغة، ص42.

2- يُنظر: عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربيّة، علم المعاني، البيان، البديع، ص206.

3- يُنظر: مازن المبارك، الموجز في تاريخ البلاغة، ص45.

- ثمّ يأتي تلميذُ الجرجانيّ (الزمخشـريّ، المتوفّى 538 هـــ) حيث أفاد من كتابيّ دلائل الإعجاز وأسـرار البلاغة لعبد القاهر الجرجانيّ، لتتجسّـد في تفسـيره القيّم "الكشـاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"، وفيه اهتم ببيان أسـرار القرآن البلاغيّة ومظاهر إعجازه اللغويّة.

- **المرحلة الثالثة**

تزامنتْ هذه المرحلة مع انتعاش حركيّة الترجمة، حيث نقل المسـلمون كثيرا مِن معـارف الأمم الأجنبيّـة، ممّـا مكّن بلاغيّي المرحلـة ذي، من الاطّلاع على مـا لـه صـلـة بالبحث البلاغيّ، وفي ذلك جاءتْ جهود (أبي يعقوب يوسف السكاكيّ المتوفى 626هـ) من خلال كتـابـه "مفتاح العلوم"، وأفاد فيه من الفلسـفة والمنطق اليونانيَّين، فأوجدَ للبلاغة قواعد، أساسُها التعليل والتعريف والتفريع والتقسيم، ويرى دارسون[1] أنّ البلاغة العربيّة تحوّلت على يديه إلى مُجرّد قواعد وقوانين، سُـكبتْ في قوالب منطقيّة جافّة، حالتْ بينها وبين غايتها الفنيّة في مخاطبة النفوس وتهذيب الأذواق وتنمية الملكات.

ثم أعقبتْ جهودَ السـكّاكيّ فترةٌ عرفتْ بالشـروح وشـروح الشـروح، وبكتب الاختصـارات، فكان من الذين قاموا بشرح مفتاح السكاكيّ (قطب الدين الشيرازي المتوفّى 710هـ) في كتابٍ سـمّاه "مفتاح المفتاح"، وَكذا بهاء الدين السُّـبكيّ في كتابه "عَروسُ الأفراح في شرح تلخيص المفتاح."

د. فروعُ علم البلاغة

كـانـت البلاغـة العربيّـة في بـادئ الأمر وَحـدة شـامـلـة، كثيرا مـا يُتجـاوَز فيها إلى مسـائل ذات صلة بها وإنْ لم تكن منها. وسار الدرسُ بها من دون فصل بين مباحثها، وظلّ الأمر كذلك حتى القرن الخامس الهجريّ أين ظهر أوّل وضـع لنظريّة "علم المعاني" على يد الإمام عبد القاهر الجرجانيّ في كتابه "دلائل الإعجاز"، كما أسّـس لنظرية "علم البيان" في كتابه "أسرار البلاغة".

والبادي واضـحا لمتتبّع تاريخ البلاغة العربيّة أنّها اتّسـمت قبل السـكاكيّ بمنهج يرمي إلى عدم الفصـل بين عنـاصـرها وفنونها، لِما في ذلك من خدمة للأدب، وإمداده

1- يُنظر مثلا: ما ذهب إليه عبد العزيز عتيق، في كتابه "في البلاغة العربيّة، علم المعاني، البيان، البديع"، ص24- 25.

بأسباب القوّة والجمال؛ حيث إنّ كلّ الأدوات البلاغيّة تعمل على الوصول إلى درجة (الإبداع)، والظاهر أنّ البَونَ شاسع بين ما قصد إليه الجرجانيّ صاحب فكرة "معاني النحو" أو "النظم"، وبين ما قصد إليه السكاكيّ.[1]

1- علم المعاني

علمُ المعاني في تقدير السكّاكيّ هُوَ « تَتَبُّعُ خَواصِّ تَراكِيبِ الكلام في الإفَادَة ومَا يتصلُ بِهَا مِن الاستحسان وغيرِه، ليُحتَرَزَ بالوقوف عَليهَا عَن الخَطأِ في تطبيقِ الكلامِ عَلى مَا تَقتضِي الحالُ ذكرَه.»[2]

ويبدو أثر علم المعاني وأهميّته في بيان وجوب مطابقة الكلام لحال السامعين فكانت المناسبة المقاميّة هي التي تحدّد الصيغة المقاليّة. وبذلك كان علم المعاني محاولة لرصد هذه العلاقة التلازميّة ما بين المقامات والمقالات. «فالذكيّ يناسبه من الاعتبارات اللطيفة والمعاني الدقيقة الخفيفة مالا يناسب الغبيّ، (ولكلّ كلمة مع صاحبتها) أيْ مع كل كلمة أخرى مصاحبة لها (مقام) ليس لتلك الكلمة مع ما يشارك تلك المصاحبة في أصل المعنى.»[3]

وعلى أساس من تلك الرؤيّة المنهجيّة جاءتْ موضوعاتُ علم المعاني التي وردتْ في القسم الثالث من كتاب مفتاح العلوم للسكاكيّ مرتّبة على هذه اللائحة:[4]

- الخبر والطلب.
- الإسناد الخبريّ واختلافه باختلاف السامع، من حيث خلوّ ذهنه منه أو الشكّ فيه أو الإنكار له.
- الإسناد وبيان أحوال المسند إليه والمسند، من حيث الذكر والحذف والتنكير والتعريف، والتقديم والتأخير، والتخصيص، والمقتضيات البلاغيّة لذلك.

1- يُنظر: منير سلطان، بلاغة الكلمة والجملة والجمل، د/ط. منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1998، ص12.

2- السكّاكيّ، مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هنداوي، ط1. دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 2000، ص247.

3- نفسُــه، ص23.

4- يُنظر: السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تح: خليل إبراهيم خليل، ط1. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،2001، 36/1. وَ ينظر: الخطيب القزوينيّ، الإيضاح في علوم البلاغة، ص24.

- الفعل ومتعلقاته.
- الفصل والوصل.
- الإيجاز، والإطناب، والمساواة، وبيان كيف أنّها نسبيّة.
- القصر، وأنواعه وطرقه.
- الطلب، وما يندرج تحته من أنواع ومن أغراض بلاغيّة.

2- علم البيان

علمُ البيان «هو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضـــوح الدلالة عليه، وبالنقصـــان ؛ ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه.» [1]

وســارَ القزوينيُّ على هَدي السـكّاكيّ في تعريف البيان، غيرَ أنّه فصّـل في مُراد اللفظ حيث قال: « فنّ يُعرف بـه إيراد المعنى الواحد بطرق مُختلفة في وضـــوح الدّلالة عليه، ودلالة اللفظ إمّا على ما وُضـــع له أو على غيره، والثاني إمّا داخلٌ في الأوّل دخولَ السقف في مفهوم البيت، أو الحيوان في مفهوم الإنسـان، أو خارج عنه خروج الحائط عن مفهوم السقف، أو الضـاحك عن مفهوم الإنسان، وتُسمى الأولى دلالة وضعيّة، وكلّ واحدة من الأخيرتَين دلالـة عقليّة، وتختصّ الأولى بدلالـة المطـابقة والثانية بالتضـــمّن، والثالثة بدلالة الالتزام.» [2]

وقد اختصّ هذا الفرع من علوم البلاغة بالحديثَ عَن التَّشـــبيه بأَركانِه وأَنواعِهِ، وعن الاســتعارة بِبعض أنواعِها، وعن المجاز المرســل بعلاقاتِه المتعدِّدة، وعن المجاز العقليّ، والكناية.

3- علم البديع

عِلمُ البديع واحد من فروع علوم البلاغة العربيّة، ويختصّ في تحســين أوجه الكلام لفظيّةً كانت أم معنويّة، وتعودُ نشـأة هذا العلم إلى الخليفة العباسـيّ الأديب المعروف بابن المعتزّ، الذي اشـــتهر بكتاب "البديع". وتأتي منزلة هذا العلم ضـــمن علوم البلاغة،

1- السكاكيّ، مفتاح العلوم، ص249.

2- القزوينيّ، الإيضاح في علوم البلاغة، ص163.

بـالنظر إلى وظيفته التكميليّة لتحقيق بلاغة الكلام وفصـــاحته، بعد علميّ المعاني والبيان، فكأنّي بالبديع يُمثّل مرحلة الصّقل الفنيّ النهائيّة للكلام، بعد تحقّق الهيكل الأوّل المُكوَّن من سلامة المبنى وتحقّق المعنى.

وقد عرّف البديعَ الخطيبُ القزوينيّ قائلا: « هو علمٌ يُعرَفُ به وجوهُ تحســين الكلام بعدَ رعـايـة المطـابقـة ووضـــوحِ الدّلالـة.» [1] واختلف علمـاء البلاغـة قديمـا في حصـــر موضوعات علم البديع، نظراً لاختلافهم في مفهوم المصطلح ذاته.

غيرَ أنّ السـكّاكيّ قد آثرَ عدداً من المُحسّنات البديعيّة المعنويّة على غيرها، ووقف عنـدهـا في كتـابـه، وتبلغ عشـــرين نوعـاً، منهـا المطـابقـة، والمقـابلـة، ومراعـاة النظير، والمزاوجة، والمُشــاكلة، والإيهام، واللفّ والنشــر، والجمع، والتفريق، والتقسـيم، والجمع مع التفريق، والجمع مع التقسيم، والجمع مع التفريق والتقسيم، وتأكيد المدح بما يشبه الذمّ، والتوجيـه، والاعتراض، والالتفات، والاســتتبـاع. أمّـا المحّســنـات البديعيّة اللفظيّة التي أوردها، فهي الجناس، وردّ العَجُز على الصدر، والسّجع، والقلب، والاشتقاق، والترصيع.

ه. التدريب

1/ ترجمْ للأعلام البلاغيّين الآتية أسـماؤهم، وإلى أيّة مرحلة ينتســبون؟ (ابحث في كُتُب البلاغـة عن حيـاة كـلّ بلاغيّ) أبو عبيـدة معمر بن المثنّى/ الفرّاء/ الجـاحظ/ ابن قتيبـة الدينوريّ/ أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد/ ابن المعتزّ/ ابن رشيق القيروانيّ.

2/ يقول أحد الدّارسين: « وعلى العكس كان منهج السكاكيّ في دراسـة البلاغة، فقد أصّـل مناهجَها فيها على أسُـس منطقيّة، حوّلت البلاغة من فنٍّ إلى علم، له قواعدُه ونظريّاته التي إنْ نجحتْ في تكوين طبقات من البلاغيّين، فقد فشلت في تكوين البُلغاء. »

عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص25.

حلّل هذه المقولة، مبيّنا مظاهر تطوّر الدرس البلاغيّ وخصائصَه عند السكّاكيّ.

1- القزوينيّ، الإيضاح في علوم البلاغة، ص255.

3/ يقول أحد البلاغيّين: « (...) فعلى هذا تكون الفصـــاحـةُ والبلاغـةُ مختلفتَين ، وذلك أنّ الفصـــاحة تمام آلة البيان فهي مَقصـــورة على اللفظ، لأن الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى، والبلاغة إنّما هي إنهاء المعنى إلى القلب، فكأنّها مقصورة على المعنى.

ومِن الدليل على أنّ الفصـــاحة تتضـــمّن اللفظ والبلاغة تتناول المعنى، أنّ الببغاء يُســمّى فصــيحا ولا يُســمى بليغا، إذ هو مُقيمٌ الحروفَ، وليس له قصــد إلى المعنى الذي يؤدّيه.

وقد يجوز مع هذا أنْ يُســمّى الكلام الواحد فصــيحا بليغا إذا كان واضــحَ المعنى، ســهلَ اللفظ، جيّدَ السّـبك، غيرَ مُسـتكرَه فجّ، ولا متكلَّف وخِم، ولا يمنعه من أحد الاسـمَين شيء، لما فيه من إيضاح المعنى وتقويم الحروف.»

أبو هلال العسكريّ، الصناعتين، ص8

مِن خلال هذا النصّ، استنتجْ ما بين الفصاحة والبلاغة مِن فروق.

2. أثر الفرق الكلاميّة في تأصيل البلاغة
(المجاز عند المعتزلة نموذجا)

عناصر الموضوع:

أ. الفرق الكلاميّة (المعتزلة ومقوّماتها الفكريّة)

ب. أثر فكرة المجاز عند المعتزلة في بلورة المفاهيم البلاغيّة.

ج. تدريب

أ. الفرق الكلاميّة (المعتزلة ومقوّماتُها الفكريّة)

1/ علم الكلام:

هو العلمُ الذي يُبحث فيه عن إثبات أصـــول الدين الإســـلاميّ بالأدلّة المفيدة لليقين بها. ويشـــمل علم الكلام بحث العقيدة الإســـلاميّة الحقّة ودراســـة مســـائلها، بإيراد الأدلّة وعرض الحجج على إثباتها، ومناقشـــة الأقوال والآراء المخالفة لها، ومحاكمة أدلّة تلكم الأقوال والآراء، وإثبات بطلانها، ونقد الشـــبهات التي تُثار حولها، ودفعها بالحجّة والبرهان.[1]

فيعدّ بذلك علم الكلام في مقدَّمة المعارف التي أســـهمتْ بشـــكل كبير في دراســـة العقيدة الإسلاميّة، أو ما كان يُعرف أيضاً آنئذ بـــ "علوم الدّين" « ويُسمّى أيضا بعلم أصول الدّين أيضا، وهو اسمٌ مِن علمٍ من العلوم الشرعيّة المُدوَّنة.»[2]

ويختلف منهج البحث في دراسة علم الكلام وقضاياه، باختلاف زوايا نظر علمائه وتوجّهات مدارســـهم المكوّنة لِما يُعرف بِـــــ "الفِرق الكلاميّة"، ويتلخّص هذا في أنّ لتلكُمُ المذاهب الإســـلاميّة الكلاميّة خمســـة مناهج عامّة[3]، وهي المنهج النقليّ، ويعتمد الســـماع أكثر ما يعتمد. والمنهج العقليّ، وهو ما يُقابل المنهج النقليّ، وفيه يُلجأ إلى العقل في تحليل الظواهر، وهو خيـار المعتزلـة الأوّل.[4] وهنـاك المنهج التكـامليّ، وهو مـا يجتمع فيـه المنهجان الســـابقان. وهناك المنهج الوجدانيّ وهو منهج الصّـــوفيّة. وثمّة منهج أخير هو المنهج العرفـانيّ، الذي هو الآخر منهج تكـامليّ، يجمع بين العقل والنقل والوجدان، فيأخذ في حدود ما يُتوصّل به بكلّ طرف إلى الحقيقة.

إنّ هذه الاختلافات التي عرفها الفكر الإســـلاميّ وعايشـــتها الأمّة الإســـلاميّة، ممّا أثّر في اللغـة العربيّـة وفي العقليّـة المُبدِعـة في هذه اللغـة، وطال تأثيرُها أحدَ أهمّ اتّجاهات البلاغـة العربيّـة، وهو الاتّجـاه الإقنـاعيّ/ البيـانيّ، والاتّجـاه الإعجـازيّ النصـــيّ، وإنّ

1- يُنظر: عبد الهادي الفضيليّ، خلاصة علم الكلام، ط2. دار المؤرّخ العربيّ، بيروت، لبنان ، 1993، ص21.

2- التهانويّ، كشّاف اصطلاحات الفنون، تح: عليّ دحروج، ط1. مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، 1996. ص1231

3- يُنظر: عبد الهادي الفضيليّ، خلاصة علم الكلام. ص27.

4- يُنظر: عوّاد بن عبد الله المعتق، المعتزلة ومبادئها الخمسة وموقف أهل السنّة منها، ط2، مكتبة الرشد، الرياض، 1995، ص51.

الصراعات الكلاميّة قد اتّخذت من القرآن الكريم مدارا لمسائلها، ويُمكن تقسيم هذا الجدال الدائر حول القرآن الكريم إلى مستويات ثلاثة [1]

- جِدال حول مضامين القرآن الكريم وأحكامه.
- جِدال حول القرآن الكريم، بوصفه معجزة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلّم
- جِدال بين القرآن الكريم والأفكار الأجنبيّة.

2/ المعتزلة ومقوّماتُها الفكريّة

المعتزلةُ في اصطلاح الدارسين[2] اسمٌ يُطلق على فرقة إسلاميّة، ظهرتْ أوائلَ القرن الثاني للهجرة، وسلكتْ منهجا عقليّا مُتطرّفا في بحث العقائد الإسلاميّة، وتعود نشأة هذه الفرقة إلى "واصل بن عطاء الغزال"، الذي اعتزل عن مجالس الحسن البصريّ، حيث إنّه نشأ العام 105 إلى 110 للهجرة في البصرة، وكانت البدايةَ الأولى مناظرتُه في أمر صاحب الكبيرة، حيث خرج برأي خالف فيه شيخَه الحسن البصريّ، وأضاف إلى رأيه المخالف في مرتكب الكبيرة بعد ذلك آراء أخرى، مهّدتْ لتأسيس مذهب المعتزلة، الذي جمع بعد ذلك جماعة من العلماء، أسهموا في إثراء أفكار هذه الفرقة وفي انتشارها[3].

وقد بدأت المعتزلة بفكرة أولى، أو بعقيدة واحدة، ثم تطوّر خلافها فيما بعد، ولم يقف عند حدود تلك المسألة العقَديّة، بل تجاوزها ليشكل منظومة من المبادئ والأفكار، وهذه الأصول لم تتشكّل دفعة واحدة، بل مرّت بأطوار رافقتْ نشأة فرقة المعتزلة وتطوّر أدبيّاتها، والتي في مقدمتها الأصول الخمسة الشهيرة، ذلك أنّه لا يستحق اسم الاعتزال مَنْ لم تجمع لديه أصولٌ خمسة[4] هي: التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، الأمرُ بالمعروف والنهي عن المُنكَر، وهي ما يُمثّل النزعة الفكريّة للمعتزلة.

ولأنّ القرآن الكريم نفسَه أنزل العقل أعلى منزلة، وأكرَمَ الإنسانَ بها وكرّمه، فإنّ المعتزلة لم يجدوا ضيقا في الإعلاء من شأن العقل، والانطلاق في البحث عن الأدلة

1- يُنظر: بوعافية محمّد عبد الرزّاق، البلاغة العربيّة والبلاغات الجديدة، قراءة في الأنساق بين التراث والمعاصرة، د/ط، مؤسّسة حسين رأس الجبل للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2018، ص40.

2- يُنظر: عوّاد بن عبد الله المعتق، المعتزلة ومبادئها الخمسة، ص13 - 14.

3- يُنظر: نفسُـــــه ، ص 28.

4- يُنظر: نفسُـــــه ، ص51 وما بعدها.

العقليّة. وكان دَيْدَنُهُم في ذلك القضـــاء على العصـــبيّة البغيضـــة، التي ظهرت بوادرها في أواخر العصـــر الأمويّ، والتي وصـــلت أوْجَ تطوّرها في العصـــر العباســـيّ، فكان ســـعي المعتزلة في إصلاح ذات البين حثيثا.

وقد كانت قضـــيّة "الكلام" إحدى مواضـــع الخلاف بين المُعتزلة وخصـــومهم، وبخاصّـة منهم الأشـاعرة. وذلك أنّ مبدأ هذه القضـيّة في الفكر الاعتزاليّ، يتّصـل بقضـية التوحيد وبقضـــية "خلق القرآن"[1] وكان الهدفُ من وراء ذلك نفيَ وجود أيّة صـــفة قديمة خارجة عن الذات الإلهيّة، وبذلك فصـلوا بين صـفات الذات وصـفات الفعل. واقتصـرت الصـــفات الذاتيّة عندهم على العلم والقدرة والحياة والقِدم. وأمّا الكلام فقد عدّه المعتزلة من صفات الفعل؛ فهو مخلوق حادث، وليس قديما أزليّاً، والمقصود هنا بالكلام، كلام الله الذي هو القرآن لارتباطه بوجود مَن يخاطبه عز وجلّ من الملائكة أو البشر.[2]

ب. أثر فكرة المجاز عند المعتزلة في بلورة المفاهيم البلاغيّة.

إنّ اهتمام المعتزلة بالبلاغة يعود إلى طبيعة مذهبهم، الذي قام أسـاسـا على الكلام متمثّلا في اللغـة خَطـابـةً وجدلاً ومُنـاظرةً، وقد لقي مبحث المجاز في البلاغة العربيّة جدلا بين اللغويّين والمفسّـــرين والفقهـاء. وفي ذلك يقول الســـيوطيّ: « وأنكره جمـاعـة؛ منهم الظاهريّة وابن القاصّ من الشافعيّة وابن خويز منداد من المالكيّة، وشُبهتُهم أنّ المجاز أخو الكذب، والقرآن مُنزّه عنه، وأنّ المتكلم لا يَعدل إليه إلّا إذا ضـــاقت به الحقيقة فيســـتعير، وذلك محالٌ على الله تعالى (...) وهذه شُبهة باطلة، ولو سقط المجاز من القرآن؛ سَقط منه شطرُ الحُسن. »[3]

هذا، وقد اهتم المتكلّمون بقضـيّة المجاز العقليّ اهتماما مخصـوصـا، وانزاحوا بها إلى الجدل المنطقيّ الكلاميّ لاتّصـال هذا الضـرب من المجاز بموضـوع خلافيّ هامّ؛ هو أفعال الله وأفعال العباد؛ إذ يقول الجرجانيّ: « فإذا قلنا: خَطّ أحســـنُ ممّا وشـــاهُ الربيعُ أو

1- يُنظر: عبد الهادي الفضيليّ، خلاصة علم الكلام، ص 19 وما بعدها.

2- يُنظر: نفسُـــــه، ص 25 وما بعدها.

3 - السيوطيّ، الإتقان في علوم القرآن، تح: (بقلم) محمد بن عمر بن سالم بازمول، ط1. دار الهجرة للنشر والتوزيع الرياض، السعودية، 2005، ص449.

صـنعَهُ الرّبيعُ، كنّا قد اِدّعينا في ظاهر اللفظ أنّ للربيع فعلاً وصُـنعا، أو أنّه شـارك الحيّ القادر في صحّة الفعل منه، وذلك تجاوزٌ به من حيث المعقولُ لا من حيث اللغة.»[1]

وسـار البلاغيّون بعد الجرجانيّ على هذا التفريق بين الأفعال اللغويّة والأفعال العقليّة بالرغم ممّا واكب هذه المسـألة، من جدل كلاميّ بين الأشـاعرة والمعتزلة يتّصـل بموضوع مجازيّة الإسناد، ومنها نظريّة الكسب والجبر والاختيار وغيرها، ويقول السُّبكي في عبارة: (أنبت الربيعُ البقلَ) إذا لم تكنْ من الكافر ولا كذبا، وفي نحو قولك (زيدٌ الجبل العظيم) أقوال:

- أحدُها: أنّ المجاز في إنبات، وهو رأي ابن الحاجب.
- الثاني: أنّه في الرّبيع، وهو رأي السكاكيّ.
- الثالث: أنّه في الإسناد، وهو رأي عبد القاهر والمُصنّف.
- الرّابع: أنّه تمثيل، فلا مجاز فيه في الإسـناد ولا في الإفراد، بل هو كلام ليُتصـوّر معناه فينتقل الذهن منه إلى إنبات الله تعالى، وهو اختيار الإمام فخر الدين.[2]

ونجد السيوطيّ يُشقق[3] المجاز شقّين اثنين:

- مجازُ التركيب ، ويُسمّى مجاز الإسناد والمجاز العقليّ، وذلك أن يُسند الفعل أو شبهه إلى ما هو له أصالة؛ لملابسته له.
- المجازُ في المفرد ويُسمى اللغويَّ، وهو استعمال اللفظ في غير ما وضع له أوّلا.

1- عبد القاهر الجرجانيّ، أسرار البلاغة، تح: محمد رشيد رضا، د/ط. دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1994، ص356.

2-يُنظر: السُّبكيّ، عروس الأفراح، 265/1.

3- يُنظر: السيوطيّ، الإتقان في علوم القرآن، ص450 -451.

3. الأسلوب الخبريّ وأضربُه

عناصر الموضوع:

أ. قِسما الكلام

ب. الخبر وغرضاه الأصليّان

ج. أضربُه وأغرضُه المجازيّة

أ. قِسما الكلام

إنّه بالنظر إلى وظيفة اللغة التواصليّة، وبناءً على الغرض من معاني مجموع الاستعمالات الكلاميّة للتراكيب، قسّم علماء المعاني الكلام قسمَين؛ خبرٌ وإنشاء. **فالخبر** هو ما يصحّ أنْ يقال لقائله إنّه صادق فيه أو كاذب، فإنْ كان الكلام مُطابقا للواقع كان قائله صادقا، وإنْ كان غيرَ مطابق له كان قائله كاذبا، واستُثنيت من الثاني الأخبارُ المقطوعُ بصحَّتها، ومنها أخبار الله تعالى وأخبارُ رسله والبَدَهيّات المألوفة،[1] لأنّ الإسناد في هذا القسم خبريّ بالنظر إلى طبيعة الكلام ونزاهة قائله. **أمّا الإنشاء** فهو ما لا يصحّ أن يُقال لقائله إنّه صادقٌ فيه أو كاذب، ولكلّ جملة من جمل الخبر والإنشاء ركنان؛ محكومٌ عليه ومحكومٌ به، ويُسمّى الأوّل مُسنَدا إليه والثاني مُسنَدا.

ب. الخبر وغرضاه الأصليّان

نَظرَ البلاغيُّون إلى أغراض الخبر باعتبار المتكلم ووفقاً لمقتضى الظاهر، فوجدوا أنّ له غرضين أصليَيْن؛ فهناك جملة يُلقيها المتكلّم بغرض إفادة المخاطَب بما يجهله؛ أطلق عليها (فائدة الخبر)، وهناك جملة أخرى تُلقى بغرض إفادة المخاطَب بما يجهله مِن علم بمضمون الخبر؛ أُطلِق عليها (لازم الفائدة).

ج. أضربُ الخبر وأغرضُه المجازيّة

1- أضربُ الخبر

إنّ من مراعاة مقتضيات الأحوال في بلاغة الكلام، مراعاة حال المُخاطب ودرجة تقبّله لمضمون الخبر وشحنته الإعلاميّة، لذلك كان المُخاطب المُستهدَف بالخبر هو مَن يُملي على المتكلّم شكل أسلوبه وبنيتَه اللغويّة.

- فإذا كان المُخاطَبُ خالي الذهن من الحكم الذي يحمله الخبر، فلا حاجة بالمتكلّم في تأكيد كلامه الخبريّ، ويُسمّى ضرب الخبر "**ابتدائيّ**" نحوُ أخوك قائمٌ.

1- يُنظر: عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربيّة، علم المعاني، البيان، البديع، ص44.

- فإنْ كان المُخاطَـــــبُ مُتردّدا الحكم طالبا لمعرفته، كان من اللائق تقوية الحكم بمؤكّد، كي يتمكّن من نفســه وتُطرح الشــكوك والظنون دونَه، ويُســمّى ضــربُ الخبر "**طلبـــيّ**" نحوُ، إنّ الأمير منتصرٌ.
- فإنْ كان المُخاطَـبُ مُنكِرا للحكم، مُعتقدا خلافَه، لزِمَ المتكلّم تأكيدُ كلامه بأكثر من مؤكّد، تَبعـا لـدرجـة الإنكـار من مخـاطـب إلى آخر، ويُســمّى ضـــرب الخبر "**إنكـــــاريّ**" نحوُ، إنّ الأمير لَمُنتصرٌ. وإنّ ما يكون في الإثبات من توكيد، يكونُ مثلَه أيضا في النفي.[1]

2- أغرضُ الخبرِ المجازيّةُ

إذا كان للخبر، باعتبار المتكلم ووفقاً لمقتضى الظاهر، غرضان أصليَّان هما فائدة الخبر ولازم الفائدة، فإنّ هناك مقاماتٍ ثانية، كان البلاغيّون قد «نظروا إليها باعتبار المتكلم والمخاطَب، فرأوا أنّ هناك أغراضـــاً خرجتْ عن ذلك كلّه، فأطلقوا عليها الأغراض المجازيّة.»[2]

إنّ الخبر قد يُلقى على خلاف الأصل لأغراض أخرى، تُستفاد مِن سياق الكلام، وقد صنّفها البلاغيّون[3] في أغراض عامّة منها، الاسترحام والاستعطاف، وتحريك الهمّة إلى ما يلزم تحصيلُه، وإظهار الضعف والخشوع، وإظهار الحزن والتحسّر، وإظهار الفرح بمُقبِل والشـــماتة بمُدبِر، والتوبيخ، والتذكير بما بين المراتب من تفاوُت، ولا يخلو خبرٌ ههنا من جماليّة، إذ إنّ اختيار أســلوب الإخبار لغاية غير الإخبار، يَمنح المتلقي تفاعلا وتأثّراً لمضـــمون الكلام، فضـــلا عمّا يُصـــاحب تلك المقامات من معاني اللباقة والتأدّب والعاطفة.

وقد حاول د. حســين جُمعة محاكاة هذه الجماليّة بقوله: «ولعلّ جماليّة التســاوق البلاغيّ لأغراض الخبر المجازيّة، ترتبط بالهدف الذي يرمي إليه المتكلم من وراء الجملة الخبريّة (...)، وعلى المتلقّي أن يستشّـف ذلك من السـياق ويَلمحه من قرائن الأحوال بما يمتلكه من ذوق فنيّ، وبهذا تؤسَّس لعلاقة المتلقي بها في ضوء الارتباط النفسيّ والفكريّ

1- يُنظر: السيّد الهاشمي، جواهر البلاغة، ط1. مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، لبنان، 1، 2008/ 42.

2- حسين جمعة، جمالية الخبر والإنشاء، د/ط. منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، سوريا، 2005، ص52.

3- يُنظر: السيّد الهاشمي، جواهر البلاغة، 41/1.

في وقت واحد. » [1] فتَرتسم بهذه الأغراض الملامحُ الفنيّة للمعنى (مضمون) هذه الأغراض، التي منها نذكر:

- **الأمر:** ويظهر من خلال العدول إلى المضارع بإلغاء الحدود الزمانيّة بجماليّة مُثيرة، نحو قوله تعالى: ﴿**وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ**﴾ [البقرة /233] فالسياق البلاغيّ نَقَل الفعل المضارع الذي يُفيد الزمن الحضوريّ إلى الزمن المطلق لكلِّ امرأة ذات وَلد، وإنّه أمرٌ لها بما ينبغي أنْ تفعله في كلّ زمان ومكان، وفي هذا مَكْمن الجماليّة. « فهي الفطرة تعمل، وهي الأسرة تُلبّي هذه الفطرة في أصل الكون وفي بنية الإنسان. ومن ثمّ كان نظام الأسرة في الإسلام، هو النظام الطبيعيّ الفطريّ المنبثق من أصل التكوين الإنسانيّ. بل من أصل تكوين الأشياء كلّها في الكون (...) والأسرة هي الحِضن الطبيعيّ الذي يتولّى حماية الفراخ الناشئة ورعايتها(...) وكانت الأسرة المُستقرّة الهادئة ألزمَ للنظام الإنسانيّ. » [2] كلّ هذا في دلالة المضارع المجازيّة.
- **النهي:** تنبثق الدلالة من زاوية الرؤية البعيدة مقترنة بالسياق، نحو قوله تعالى:

﴿**لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ**﴾ [الواقعة /79] إذ إنّ امتناع مسّ القرآن الكريم على غير المتطهّرين كان بأسلوب مثير للانفعال النفسيّ من خلال قصر مُلامسة المصحف على المتطهّرين إخبارا. وفي بيان تلك الخصّيصة يقول السيوطيّ مُعقبا على فحوى الدلالة في هذه الآية في فصل (في معاني الخبر): « إذا قلنا: إنّه وَرد في الآدميّين- وهو الصحيح- إنّ معناه: لا يمَسُّه أحدٌ منهم، بشرع، فإنْ وُجد المسّ فعلى خلاف حكم الشرع. وهذه الدقيقة هي التي فاتت العلماءَ، فقالوا: عن الخبر قد يكون بمعنى النهي وما وُجد ذلك قطُّ، ولا يصحّ أنْ يُوجد؛ فإنّهما يَختلفان حقيقة ويتضادّان وصفًا. » [3]

1- حسين جمعة، جمالية الخبر والإنشاء، ص46.

2- سيّد قطب، في ظلال القرآن، ط35. دار الشروق، القاهرة، مصر، 2005، 235/2.

3- السيوطيّ، الإتقان في علوم القرآن، ص304 و ص305.

•**التمني:** وتفيده الجملة الخبرية في هذا المقام وكأنّ التمني قريبٌ من الحدوث نحوُ قوله تعالى: ﴿**وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ** ﴾ [المائدة /84]

•**الدعاء:** تَرتسمُ ملامحُ الجمال المثير بتراكيب مُوجزةِ العبارة، واسعةِ الدلالة الإيحائية، فعلى الرّغم من تداوُلها اجتماعيّا، إلا أنّ عبارة مثل (حفظك الله) أو(شفاك الله) بالصيغة الإخباريّة تموج بشحنة عاطفيّة عالية، تقوم على الابتهال والاستعطاف.

4. الأسلوب الإنشائيّ وأغراضُه

عناصر الموضوع:

أ. الأسلوب الإنشائيّ

ب. الأسلوب الإنشائيّ الطلبيّ

ج. الأسلوب الإنشائيّ غيرُ الطلبيّ

د. أغرضُ الأسلوب الإنشائيّ المجازيّةُ

ه.تدريب

أ. الأسلوب الإنشائيّ

الإنشاءُ في اللغة الإيجاد، وفي اصطلاح البلاغيّين[1] ما لا يحتمل الصدق والكذب لذاته من الكلام، حيث إنّ مضمون الإنشاء لا يتحقّق وَلا يحصل إلّا في حال التلفظ به، فطلبُ الفهمِ في الاستفهام، والإقبالِ في النداء، والكفّ في النهي، وإتيانِ الفعل في الأمر، وغيرِه ممّا لم يحصلْ معناه إلّا بحال التلفّظ، يُعدّ إنشاءً للمعنى في مقابل الحكم القبليّ الذي للخبر.

ب. الأسلوب الإنشائيّ الطلبيّ

الإنشاءُ الطلبيّ[2] هو الذي يستدعي مطلوبا غيرَ حاصل وقتَ الطلب في اعتقاد المتكلّم، ويكون بخمسة أشياء، الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني، والنداء.

- **الأمر:** هو طلب حصول الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، وله صيغٌ أربعٌ:

ـ **فعل الأمر** الصّريح: نحوُ قوله تعالى: ﴿ **يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا**﴾ [مريم / 12]

ـ **الفعل المضارع المقترن بلام الأمر**: نحوُ قوله تعالى: ﴿ **فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ**﴾ [قريش /03]

ـ **المصدر الذي ينوب عن فعل الأمر**، نحوُ قوله تعالى: ﴿ **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾ [النساء / 36]

ـ **اسم فعل الأمر**، نحوُ ، حذار، بمعنى احذرْ.

وقد تخرج صيغُ الأمر عن معناها الأصليّ إلى معانٍ أخرى كثيرة، تُستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال منها، الالتماس، والإرشاد، والتهديد، والإعجاز، والإباحة، والتسوية، والإكرام، والإهانة، والتخيير، والتعجّب.

- **النهي:** هو طلب الكفّ عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، وله صيغة وحيدة، وهي، المضارع مع "لا" النَّاهية، كقوله تعالى: ﴿**وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ**

1- يُنظر مثلا : السيّد الهاشميّ، جواهر البلاغة، 53/1.

2- يُنظر : نفسُـــه، 54/1 وما بعدَها.

إِصْـلَاحِهَا﴾ [الأعراف/56] وقد تخرج صـيغُ الأمر عن معناها الأصـليّ إلى معانٍ أخرى كثيرة تُسـتفاد من سـياق الكلام وقرائن الأحوال، منها، الدعاء، الالتماس، والإرشاد، والتمنّي، والتيئيس، والتوبيخ، والتحقير.

- **الاسـتفهام:** هو طلبُ العلم بشـيءٍ لم يكنْ معلوما من قبلُ، وذلك بإحدى أدواته وهي: هل، ومَن، وما، ومتى، وأيّان، وكيف، وأين، وأنّى، وكم، وأيّ.

وتنقسم بحسب الطلب إلى ثلاثة أقسام:

1/ ما يُطلبُ به التصوّر تارةً والتصديق تارة أخرى، وهو الهمزة تحديداً.

2/ ما يُطلبُ به التصديق فقط وهو هل تحديداً.

3/ ما يُطلبُ به التصوّر فقط، وهو بقيّة ألفاظ الاستفهام.

- **التمني:** هو طلبُ الشيء المرغوب الذي لا يُرجى حصوله أو ما كان بعيد الحصول، أو ما كان مستحيل الحصول، نحو قول الشاعر:

ألا ليتَ الشبابَ يعودُ يوماً ** فأخبرَهُ بما فَعَل المَشيبُ.

فإذا كان الأمر المرغوبُ ممّا يُرجى حصوله كان طلبُه ترجيّاً لا تمنيّا.

وللتمنّي أربع أدوات، إحداها أصـليّة، وهي " ليت"، وثلاثٌ غيرُ أصـليّة، نائبة عنها، حيث يُتمنّى بها لغرض بلاغيّ وهي: هل، ولو، ولعلّ.

- **النداء:** هو طَلَبُ المتكلّم إقبالَ المخاطَب عليه، بحرف نائب مناب "أنادي" المنقول من الخبر إلى الإنشـاء، وأدواتُه ثمانية: الهمزة، أَيّ، يا، وآ، آيْ، أيا، هيا، وا . وهي في الاستعمال نوعان:

1/ الهمزة وَ أي، لنداء القريب.

2/ باقي الأدوات لنداء البعيد.

وقد تخرجُ ألفاظ النداء عن معانيها الأصـليّة، فيفيد القرب ما حقّه البعد وبالعكس أيضـا، وقد تفيد معاني أخرى غير النداء، بمعونة قرائن الأحوال كالإغراء، والاستغاثة، والنُّدبة.

ج.الأسلوب الإنشائيّ غيرُ الطلبيّ

الإنشـاءُ غيرُ الطلبيّ[1] هو ما لا يسـتدعي مطلوبا غيرَ حاصـل **وقتَ الطلب،** مثل صـيغ **المدح والذمّ،** ويكونان بِـــ "نِعمَ / بئس" وَ "حبّذا / لا حبّذا". **والعقود،** فغالبا ما تكون بالماضـــي، نحوُ "بِعتُ"، "اشـــتريتُ". **والقسَـــم،** ويكون بالواو أو الباء أو التاء. **والتعجّب،** ويكون بصيغتَيه القياسيّتين "ما أفعلَه/ أفعلْ به"، وبصيغ سماعيّة أخرى، **والرجاء،** يكون بِـ "عسى" وَ "حرى" وَ "اخلولقَ" وَ "رُبّ" وَ "لعلّ" وَ " كمْ" الخبريّة.

د. أغرضُ الأسلوب الإنشائيّ المجازيّةُ

أســلوبُ الإنشـــاء قائم على الأســـاس الذي يطلبه المتكلم من المخاطب، فالكلام الإنشـائيّ في مثل هذه الحال مرتبط بتصـوّر المتكلم وبشـعوره، فقد يخرج الإنشـاء بدوره إلى أغراض مجازيّة، يتلبّسـها المعنى الإسـناديّ المُعبّر عنه في هذا الأسـلوب. وقد أخرِج الإنشـاءُ غيرُ الطلبيّ عند القدماء من جملة الإنشـاء الطلبيّ، لأنّه لا يسـتدعي مطلوبا بعد النطق به كالشـرط والقسـم، والتعجّب والمدح والذمّ والرّجاء وصـيغ العقود، وهناك من أخرجه من بحث الإنشـاء كلّه.[2] و« الخبرُ قد يقع موقعَ الإنشـاء، إمّا للتفاؤل أو لإظهار الحرص في وقوعه (...) والدعاء بصيغة الماضي من البليغ يحتمل الوَجهَين. »[3]

ومن الأغراض الفنيّة التي يَنزاح إليها الإنشاءُ نذكر:

- **الدعاء بالأمر**: نحو قوله تعالى:﴿**رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْـكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ**﴾ [النمل/19]

يقول سـيّدُ قطب في قصّـة سـليمان عليه السـلام، وفي فحوى تفسـيره للآية الآنفة الذِّكْر: « أدرك سـليمانُ هذا فتبسّـم ضـاحكا من قولها وسـرعان ما هزّتهُ هذه المشـاهدة وردّت قلبه إلى ربِّه الذي أنعم عليه بنعمة المعرفة الخارقة؛ وفتح بينه وبين تلك العوالم المحجوبة المعزولة من خلقه، واتّجه إلى ربّه في إنابة يتوسَّـل

1- يُنظر: السيّد الهاشمي، جواهر البلاغة، 53/1.

2- يُنظر: حسين جمعة، جمالية الخبر والإنشاء، ص102.

3- الخطيب القزوينيّ، الإيضاح في علوم البلاغة، ص92 - 93.

إليه (...) (ربّي) بهذا النداء القريب المتّصل. (أوزعْني) اجمعني كُلّي. اجمعْ جوارحي ومشاعري. » [1]

وهذا التعبير يَشي بنعمة الله التي مسّت قلب سليمان عليه السلام في تلك اللحظة، ويُصوّر نوع تأثّره وقوة توجّهه وارتعاشة وهو يَستشعر فضل الله الجزيل ويتمثل يدَ الله عليه وعلى والدَيه ويُحسّ مسّ النّعمة والرّحمة في ارتياع وابتهال.[2]

- **الإخبار بالاستفهام:** نحو قوله تعالى:﴿**أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى**﴾ [القيامة/40]

إنّ المعنى الإسناديّ المُتضمَّن في الآية يتعزّز أمام هذه الحقيقة[3] التي تفرض نفسها فرضًا على الحسّ البشري، يجيء الإيقاع الشامل لجملة من الحقائق التي تُعالجها الصورة (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى؟)

بلى! سُبحانه! فإنّه لقادر على أن يحيي الموتى!

بلى! سُبحانه! فإنّه لقادر على النشأة الأخرى!

بلى! سُبحانه! وما يملك الإنسان إلا أنْ يخشع أمام هذه الحقيقة التي تفرض نفسها فرضا.

وهكذا تنتهي الصورة بهذا الإيقاع الحاسم الجازم، القويّ العميق، الذي يملأ الحسّ ويَفيض بحقيقة الوجود الإنسانيّ وما وراءَها من تدبير وتقدير.

- **الترجّي بالتمنّي:**

ومنه قول الشابيّ:

ليتَني كُنتُ كالسُّيول إذا سَالتْ** تَهدُّ القبورَ رَمْسا بِرَمْسِ

ليتني كُنتُ كالرِّياح فَأطوِي** كُلَّ ما يَخْنِقُ الزّهورَ بنَحْسِي

ه. التدريب

إنّ لقصيدة الشاعر العباسيّ "أبي الطيّب المتنبّي"، أدناه، مناسبةً مخصوصة عُدْ إلى تلك المناسبة، ثمّ تعرّفْ على مجموع الأساليب الخبريّة والإنشائيّة المُشكّلة للنصّ، مُبيّنا الغرضَ البلاغيّ لكلّ أسلوب، بما ينسجمُ مع مناسبة القصيدة وغاية الشاعر منها.

1- سيّد قطب، في ظلال القرآن، 2636/19 -2637.

2- يُنظر : نفسُه، 2637/19.

3- يُنظر : نفسُه، 29/ 3775.

ـ ما هو أكثر الأساليب غلَبةً في النصّ؟ ماذا تستنتج؟

ـ هل لبّت الأنماط الأسلوبيّة الواردةُ في النصّ حاجةَ الشاعر التعبيريّة في هذا الموضوع؟

الخيل والليل والبيداءُ تعرفني

قال وقد جرى له خطاب مع قوم متشاعرين وظُنّ الحيف عليه والتحامل :

وَا حرّ قَلْباهُ ممّنْ قَلْبُهُ شَبِمُ ... وَمَنْ بجِسْمي وَحالي عِندَهُ سَقَمُ[1]

ما لي أُكَتِّمُ حُبّاً قَدْ بَرَى جَسَدي ... وَتَدّعي حُبَّ سَيفِ الدّوْلةِ الأُمَمُ[2]

إنْ كَانَ يَجْمَعُنَا حُبٌّ لِغُرّتِهِ ... فَلَيْتَ أنّا بِقَدْرِ الحُبّ نَقْتَسِمُ[3]

قد زُرْتُهُ وَسُيُوفُ الهِنْدِ مُغْمَدَةٌ ... وَقد نَظَرْتُ إلَيْهِ وَالسّيُوفُ دَمُ

فكانَ أحْسَنَ خَلقِ اللهِ كُلّهِمِ ... وَكانَ أحسنَ ما في الأحسَنِ الشّيَمُ

فَوْتُ العَدُوّ الذي يَمّمْتَهُ ظَفَرٌ ... في طَيّهِ أسَفٌ في طَيّهِ نِعَمُ[4]

قد نابَ عنكَ شديدُ الخوْفِ وَاصْطنعتْ ... لَكَ المَهابَةُ ما لا تَصْنَعُ البُهَمُ[5]

أَلزَمْتَ نَفْسَكَ شَيْئاً لَيسَ يَلزَمُها ... أنْ لا يُوارِيَهُمْ أرْضٌ وَلا عَلَمُ[6]

أكُلّمَا رُمْتَ جَيْشاً فانْثَنَى هَرَباً ... تَصَرّفَتْ بِكَ في آثَارِهِ الهِمَمُ

.....

١ وا حر قلباه : الألف للندبة ، والهاء للسكت . الشبم : البارد .

٢ يقول : ما لي أخفي حبه الذي أنحل جسدي والناس يدعون حبه وهم على خلاف ما يظهرون .

٣ غرته : طلعته ، وأن وصلتها سدت مسد معمولي ليت .

٤ يعني أن فرار العدو الذي قصدته يعد ظفراً لك وضمن هذا الظفر أسف لأنك لم تدركه وفي هذا الأسف نعم لرجالك لحقن دمائهم .

٥ البهم جمع بهمة : أراد بها هنا الجيش .

٦ يقول : ألزمت نفسك أن تتبعهم أينما تواروا وهذا أمر لا يلزمك .

يا أعدلَ النّاسِ إلاّ في مُعاملَتي ... فيكَ الخِصامُ وَأنتَ الخصْمُ وَالحكَمُ

أُعيذُها نَظَراتٍ مِنْكَ صادِقَةً ... أن تحسَبَ الشّحمَ فيمن شحمُه وَرَمُ[1]

وَمَا انْتِفَاعُ أخي الدّنْيَا بِنَاظِرِهِ ... إذا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الأنْوارُ وَالظُّلَمُ

سَيَعْلَمُ الجَمعُ ممّنْ ضَمّ مَجلِسُنا ... بأنّني خيرُ مَنْ تَسْعَى بهِ قَدَمُ

أنَا الذي نَظَرَ الأعْمَى إلى أدَبي ... وَأسْمَعَتْ كَلِماتي مَنْ بهِ صَمَمُ

أنَامُ مِلْءَ جُفُونِي عَنْ شَوَارِدِهَا ... وَيَسْهَرُ الخَلْقُ جَرّاهَا وَيَخْتَصِمُ[2]

وَجاهِلٍ مَدّهُ في جَهْلِهِ ضَحِكي ... حَتّى أتَتْهُ يَدٌ فَرّاسَةٌ وَفَمُ

إذا رَأيْتَ نُيُوبَ اللّيْثِ بارِزَةً ... فَلا تَظُنَّنّ أنّ اللّيْثَ يَبْتَسِمُ

وَمُهْجَةٍ مُهْجَتي من هَمّ صَاحِبِها ... أدرَكْتُهَا بِجَوَادٍ ظَهْرُهُ حَرَمُ[3]

رِجلاهُ في الرّكضِ رِجلٌ وَاليدانِ يَدٌ ... وَفِعْلُهُ مَا تُرِيدُ الكَفُّ وَالقَدَمُ

وَمُرْهَفٍ سِرْتُ بينَ الجَحْفَلَيْنِ بِهِ ... حتّى ضَرَبْتُ وَمَوْجُ المَوْتِ يَلْتَطِمُ

أخَيْلُ وَاللّيْلُ وَالبَيْداءُ تَعرِفُني ... وَالسّيفُ وَالرّمحُ والقِرْطاسُ وَالقَلَمُ

صَحِبْتُ في الفَلَواتِ الوَحشَ منفَرِداً ... حتّى تَعَجّبَ مني القُورُ وَالأكَمُ[4]

---

١ نظرات : تمييز للضمير قبلها . الشحم والورم : مثل لما يتشابه ظاهره وتختلف حقيقته .

٢ يقول : أدرك شوارد الشعر بدون عناء وغيري من الشعراء يسهرون لتحصيلها ويتنازعون على ما يظفرون به منها لندرة وجوده عندهم .

٣ المهجة: الروح وهي مجرورة برب مقدرة، ومهجتي مبتدأ، ومن متعلقة بالخبر المحذوف ، والجملة نعت مهجة ، وأدركتها جواب رب ، وجملة ظهره حرم مبتدأ وخبر وهي نعت جواد .

٤ القور جمع قارة : الأرض التي حجارتها سوداء .

يَا مَنْ يَعِزّ عَلَيْنَا أنْ نُفَارِقَهُمْ ... وَجدانُنا كُلّ شيءٍ بَعدَكُمْ عَدَمُ

مَا كانَ أخلَقَنَا مِنكُمْ بتَكرِمَةٍ ... لَوْ أنّ أمْرَكُمُ مِن أمرِنَا أَمَمُ[1]

إنْ كانَ سَرّكُمُ ما قالَ حاسِدُنَا ... فَمَا لجُرْحٍ إذا أرْضاكُمُ أَلَمُ

وَبَيْنَنَا لَوْ رَعَيْتُمْ ذاكَ مَعرِفَةٌ ... إنّ المَعارِفَ في أهْلِ النُّهَى ذِمَمُ

كم تَطْلُبُونَ لَنَا عَيْباً فيُعجِزُكُمْ ... وَيَكْرَهُ اللهُ ما تَأتُونَ وَالكَرَمُ[2]

ما أبعدَ العَيبَ والنّقصانَ منْ شرَفي ... أنَا الثّرَيّا وَذانِ الشّيبُ وَالهَرَمُ[3]

لَيْتَ الغَمَامَ الذي عندي صَواعِقُهُ ... يُزيلُهُنّ إلى مَنْ عِنْدَهُ الدِّيَمُ[4]

أرَى النّوَى يَقتَضيني كلّ مَرْحَلَةٍ ... لا تَسْتَقِلّ بها الوَخّادَةُ الرُّسُمُ[5]

لَئِنْ تَرَكْنَ ضُمَيراً عَنْ مَيامِنِنا ... لَيَحْدُثَنّ لِمَنْ وَدّعْتُهُمْ نَدَمُ[6]

إذا تَرَحّلْتَ عن قَوْمٍ وَقَد قَدَرُوا ... أنْ لا تُفارِقَهُمْ فالرّاحِلونَ هُمُ

شَرُّ البِلادِ مَكانٌ لا صَديقَ بِهِ ... وَشَرُّ ما يَكسِبُ الإنسانُ ما يَصِمُ[7]

---

١ أمم : قريب . أي لو كان أمركم قريباً من أمرنا .

٢ أي وكرمكم يكره ذلك .

٣ يقول : إن العيب والنقصان بعيدان عني كبعد الشيب والهرم عن الثريا .

٤ أراد بالغمام سيف الدولة وبالصواعق سخطه وبالأمطار بره . يقول : يا ليت الأذى الذي نالني من سيف الدولة والبر الذي نال غيري منه يتحولان من أحدنا إلى الآخر فينتصف الفريقان .

٥ يقتضيني : يكلفني . الوخادة : الناقة السريعة السير . الرسم جمع رسوم : التي تؤثر في الأرض بأخفافها .

٦ ضمير : جبل عن يمين الراحل من الشام إلى مصر .

٧ يصم : يعيب .

- من ديوان المتنبّي

5. التقديم والتأخير. الفصل والوصل

عناصر الموضوع:

أ. التقديم والتأخير

ب. أثر التقديم والتأخير في بلاغة الكلام

ج. الفصل ومواضعه

د. الوصل ومواضعه

ه.تدريب

أ. التقديم والتأخير

التَقديمُ هو أحدُ الأســـاليب العدوليّة، التي من خلالها يُعدَل عن القاعدة التي يُقرّها النظام اللغوي القارّ، لغايات خاصــة يبرّر بها المتكلم -غالبا- هذا العُدول، وقد تحدّث النّحاة عن الرّتبة في تأصـيلهم للنماذج الكلاميّة المَعدول بها عن هذا الأصـل، فتحدّثوا عن الرّتبة المحفوظة، كرتبة الموصـول وصـلته ورتبة المضــاف والمضــاف إليه، وعن الرّتبة غيرِ المحفوظة التي لا يجد المتكلم بُدًّا من التَّصرّف فيها.

وتشـــمل الرّتبـة غيرُ المحفوظـة التقديمَ والتأخير بين المبتدأ والخبر، وبين الفاعل والمفعول وما إلى ذلك، فكانتْ- بحقّ- هذه الرّتبة ما اختصّ فيه البلاغيّون، فهذا « هو الذي لا يُحتّمـه نظام اللغة، بل يُجيز للمتكلم حريّة الخروج عليه (...) أي أنّ الرّتبة في هذا اللّون من مجالات التخيُّر النحويّ الموجِب للمزيّة.» [1] وإنّ كلَّ تقديم يستدعي تأخيراً بالضّرورة.

ويقسِّـم عبد القاهر الجرجانيّ التّقديم قسـمَين اثنين؛ تقديمٌ على نيَّة التأخير، وتقديم لا على نيّـة التـأخير.فأمّا **التقديم على نيَّة التأخير**؛ ويكون بانتقال المُقدَّم لفظا وحُكما كتقديم الخبر على المبتدأ أو المفعول على الفاعل. وأمّا القسم الثاني فهو الذي **لا على نيّة التأخير**؛ كـأنْ يُنقل العنصـــرُ التركيبيّ من حكم إلى آخر، ويُجعلَ باباً غيرَ بابه، ومثل ذلك أن يُعمد إلى اسـمين يَحتمل كلٌّ منهما أنْ يكون مُسـندا أو مُسـندا إليه في تركيب ما، فيتقدّم أحدهما تارةً ويتأخّر تارةً أُخرى، نحوُ: زيدٌ المنطلقُ، والمنطلقُ زيدٌ.[2]

والبادي جليّا من التقسـيم الجرجانيّ للتقديم هذا التقسـيم المُزدَوج، هو سـعيُه إلى بيان المَزيّـة الفنيّة التي لا تكون إلاّ في التقديم الذي على نيّة التأخير، لارتباط مزيّة التقديم -في نظره- بالتّخيّر، الذي تبرز قيمتَه الفنية المقارنة بين أســلوب التقديم، وأســلوبٍ آخر مُفترض، يتأخّر فيه المُتقدِّم.

وَقد كان عبد القاهر الجرجانيّ حين تحدّث عن التخيّر النحويّ، مشـغولا بقضـيّة إعجـاز القرآن الكريم، إذْ ليس في القرآن الكريم مـا يكون حُســنـه للفظ دون النّظم، « فلا

1- حسن طبل، المعنى في البلاغة العربية، د/ط. دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1998، ص176.

2- **يُنظر:** عبد القاهر الجرجانيّ، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمّد شاكر، د/ط. مكتبة الخانجيّ، القاهرة، مصر، د/ت، ص106-107. **وَيُنظر:** عبد الفتاح لاشين، المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم، ط4. دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 2000، ص167 -168.

فضيلة حتى ترى من الأمر مَصنِعا وحتى تجِدَ إلى التخيّر سبيلا.»[1] وَقد سار البلاغيّون في تحليل مزية التخيّر على منهج المقارنة، ما بين المبنى النحويّ المُختار والمبنى الآخر المفترض، الذي يتّفق مع الأوّل في وظيفته، ويتميّز دونَه عن مزيّته، ويشمل هذا التخيّر الصّيغ والأدوات والرّتب والحذف والذكر، وكلَّ ما من شأنه أنْ يَسِمَ الدلالة الخاصّة في التراكيب المُختلفة.

ب. أثر التقديم والتأخير في بلاغة الكلام

إنّ للتقديم مزايا فنيّة وبلاغيّة متعدّدة، تلقي بظلالها على معنى الكلام وأثره، من حيث ملاءمةُ هذا التقديم للمقام المصاحب للحدث الكلاميّ، لذلك بحث البلاغيّون في تقريب تلك الأغراض المقاميّة، فيذكر الأستاذ عبد الفتّاح لاشين- مُلخّصا- ما بُحث من الأغراض المُخوّلة لتقدم المُسند (الخبر) على المُسند إليه المبتدإ، في ثلاثة أغراض عامّة:[2]

1- **قصْرُ المُسند إليه على المُسند:** نحوُ قوله تعالى: ﴿**لا فِيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ**﴾ [الصافات /47] فعَدَمُ الغَولِ مقصور على خمر الجنّة، «والمعنى لا فيها فساد قطّ من أنواع الفساد التي تكون في شرب الخمر من مَغصّ أو صداع أو خمار أو عربدة أو لغو أو تأثيم أو غير ذلك، ولا هم يسكرون.»[3] ونحو قوله تعالى: ﴿**لَّهِ مُلْكُ السَّمَوَات وَالأَرْضِ**﴾ [الشورى/49] فمُلكُ السَّماَوَات وَالأَرْضِ مقصورٌ على الله.

2- **التنبيه من أول الأمر على أنه خبرٌ، لا نعت:** نحوُ قول الفرزدق للمنذر بن الجارود:

لآل المُعلّى قبّةٌ يَبْتَنُونَها ** بأيدي كرام رَفّعُوهَا بعَرْعَرِ

فلمّا كانت النكرة أشدَّ حاجةً إلى النعت منها إلى الخبر، قُدّم الخبر(الجارّ والمجرور)، لدفع توُهّم ذلك.

3 - **التشويق إلى ذكر المُسند إليه:** كأنْ يكون (المُسند) يحمل ما يشدّ انتباه المتلقي ويشوّقه إلى معرفة المسند إليه، نحوُ قول أبي القاسم الشّابيّ:

عَذْبة أنْتَ كالطّفولة كالأحلام ** كاللّحن كالصّباحِ الجَديد

1- عبد القاهر الجرجانيّ، دلائل الإعجاز، ص80.

2- يُنظر: عبد الفتاح لاشين، المعاني في ضوء أساليب القرآن ، ص 85 و86 .

3- الزمخشريّ، الكشّاف، تح: محمد مرسي عامر، ط2. دار المصحف، القاهرة، مصر، 1977، 5/ 112.

ج. الفصلُ ومواضعُه

إنّه يَحسنُ بالجمل إذا ترادفتْ ووقع بعضُها في إثر بعض أنْ تُوصَل بالواو، لتكون متّسقة منظّمة، وقد يعرض لها ما يُوجب ترك الواو، ويُسمّى ذلك "الفصل"، ويكون في خمسة أحوال[1]:

1/ كمال الاتّصال: وهو أنْ يكون بين الجملتين اتّحاد تامّ وامتزاج معنويّ، حتّى كأنّهما أُفرغتا في قالب واحد، ويكون هذا في باب:

- باب التوكيد، لزيادة التقرير، أو لدفع توهّم تجوّز أو غلط، سواءٌ أكان تأكيدا لفظيّا، نحوُ قوله تعالى: ﴿ **فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا**﴾ [الطارق/17] أم تأكيدا معنويّا، نحوُ قوله تعالى: ﴿ **مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ**﴾ [يوسف/31] ، فإنّه إذا كان مَلَكاً لم يَكنْ بشرا، فإثبات كونِه مَلَكاً تأكيدٌ وتحقيق لنفي كونه بشراً.

- باب البدل والمقتَضى له كون الثانية أوفى بالمطلوب من الأولى، والمقام يستدعي عناية بشأن المُراد، سواءٌ أكان بدلا نحوُ قوله تعالى: ﴿ **بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ** ﴾ [المؤمنون /81- 82]

باب عطف البيان، والدّاعي إليه خفاء الأولى، والمقام يستدعي إزالة هذا الخفاء، نحوُ قوله تعالى: ﴿**فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ**﴾ [طه/120]

2/ كمال الانقطاع، وهو أنْ يكون ما بين الجملتين تباينٌ تامّ دون إيهام خِلاف المراد، وله نوعان:

- أنْ تختلفا خبراً وإنشاءً، لفظا ومعنىً، نحوُ قوله تعالى: ﴿ **وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ [الحجرات/9]

- ألّا تكون بينهما مناسبة في المعنى، نحو قول الشاعر:

وإنّما المرءُ بأصغرَيْهِ ** كلُّ امرِئٍ رَهنٌ بمَا لدَيهِ

1 - يُنظر: أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، ص 167 وما بعدها. **وَيُنظر:** عبد العزيز عتيق، علم البلاغة، المعاني، البيان، البديع، ص156 وما بعدها.

3/ **شبه كمال الاتصال**: هو أن تكون الجملة السابقة كالمورد للسؤال أو المنشأ له، فتُفصَل الثانية عنها كما يُفصل الجواب عن السؤال، ويُسمّى الفصل لذلك "استئنافا"، وهو على ثلاثة أضرب، لأنّ السؤال الذي تضمّنتْهُ الجملة، يكون إمّا:

- عن سبب عامّ للحكم، نحو قول الشاعر:

قال لي كيفَ أنتَ قلتُ عليلُ** سهرٌ دائــمٌ وحزنٌ طويـلُ

كأنّ المخاطب حين سمع قوله عليل، قال ما سببُ علّتك؟ فقال: سهرٌ دائمٌ وحزنٌ طويلُ.

- عن سبب خاصّ للحكم، نحو قول تعالى: ﴿ **وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ**﴾ [يوسف/ 53] كأنّه قيل: هل النفس أمّارة بالسوء؟ فقيل: نعم إِنَّ النَّفسَ لَأَمَّارَة بِالسُّوء؛ وهذا يقتضي تأكيد الحكم الذي في جملة الجواب، مثل الذي رأينا في أضرب الخبر.

4/ **شبه كمال الانقطاع:** وهو أنْ تُسبق جملةٌ بجملتين، يصحّ عطفهما على إحداهما، ولا يصحّ عطفُها على الأخرى لفساد المعنى، فيُترك العطف دفعاً لهذا الوهم، ويُسمّى الوصل حينذاك قطعاً، نحو قول الشاعر:

وتظنُّ سلمى أنّني أبغي بها ** بَدلاً أراهَا في الضّلال تَهيمُ.

إنّ ما بين الجملتين مناسبة ظاهرة لاتّحاد المُسندَين، لأنّ معنى "أراها" أظنّها، كونُ المُسنَد إليه في الأولى المَحبوب، وفي الثانية المُحبّ، ولكنْ ترك العطف كيلا يتوهّم أنّه عطف على أبغي، فيكون من مظنونات سلمى، كالمعطوف عليه، وهو خلاف المراد.

5/ **التوسّط بين الكمالَين:** وهو أنْ تكون الجملتان متناسبتَين، ولكنْ يمنع من العطف مانعٌ، وهو عدم قصد التشريك في الحكم، نحوُ قوله تعالى:

﴿**وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴾ [البقرة/14ـــ15]، فجملة "اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ"، لا يصحّ عطفُها على جملة "إِنَّا مَعَكُمْ"، كونُها من مَقول المنافقين، وليس ذلك كذلك، وعلى جملة "قالوا" ذلك، أنّ المعنى يكون، فإذا قالوا ذلك استهزأ الله بهم، وهذا لا يستقيم، لأنّ استهزاء الله بهم أنْ خذلهم.

د. الوصل ومواضعه

اهتمّ علماء المعاني في باب الفصل والوصل، بالبحث في عطف الجمل بـــ "الواو" دون ســواها من حروف العطف، إنّما تُخفي الحاجة إليها، ويَتطلب فهمُ العطف بها دقّة في الإدراك؛ ذلك أنّ الواو هي الأداة التي ليس لها معنى في نفسها، فهي لا تدلّ إلا على مطلق الجمع والاشتراك، أمّا بقيّة أحرف العطف فتفيد مع الاشتراك معانيَ زائدة، كالترتيب مع التعقيب في الفاء، والترتيب مع التراخي في ثُمّ، وفي سواهما.[1]

والجملُ المعطوفُ بعضُها على بعض ضربان:[2]

1/ أنْ يكون للجملة المعطوفِ عليها محلّ من الإعراب، وحكم هذه حكم المفرد، لأنّها تكون كذلك حتى تكون واقعة موقعه، وحينذاك يكون وجه الحاجة فيها إلى الواو، ظاهرا، والإشراك بها في الحكم موجودا.

2/ أنْ لا يكون لها محلّ من الإعراب، وتحت هذه نوعان:

- أنْ تتفقّ الجملتان خبراً وإنشـــاءً، وتكون بينهما مناســبة وجامع يقوّي العطف، نحو قول تعالى: ﴿**إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ** ﴾[الانفطار/13-14] ويُسمى ذلك توسّطا بين الكمالَين.

- أنْ تختلف الجملتان خبراً وإنشـاءً، ولكنْ لو تُرك العطف لأوهم خلاف المقصـود، ونحوُه ما رُوي[3] عن هارون الرّشيد حين سأل وزيرَه عن شيء، فقال: لا، وأيّد الله الخليفةَ. فلمّا بلغ ذلك الصـــاحبَ بن عبّاد قال: هذه الواوُ أحســـنُ من الواوات في خدود المِلاح ! فتركُ الواو في جملة الوزير، يُوهم بالدعاء على الخليفة، والمقصودُ هنا الدعاء له، لا عليه.

ه. تدريب

1- يقول أحد البلاغيّين: التقديم والتأخير «هو بابٌ كثيرُ المحاسن واسع التّصرف بعيد الغاية لا يزال يَفترُّ لك عن بديعة، ويفضـــي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شـــعرا

1 - يُنظر مثلا : عبد العزيز عتيق، علم المعاني، البيان، البديع، ص155. وَ أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، ص163.

2 - يُنظر: أحمد المراغي، علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، ص 164.

3 - يُنظر: نفسُـــه، ص 164.

يروقك مسـمعُه ويلطف لديك موقعُه، ثم تنظر فتجد سـببَ أنْ راقك وَلَطُفَ عندك، أنْ قدّم فيه شيءٌ وحُوّل اللّفظ من مكان إلى آخر.»

- عبد القاهر الجرجانيّ، دلائل الإعجاز، ص85.

حللّ المقولة، أعلاه، مُستعينا بمعاجم اللغة، في شرح ما عَجم لك من معنى بعض الألفاظ، مبيّنا أثرَ تقنيّة التقديم والتأخير في تحقّق جماليّة المعنى وبلاغة الكلام.

2- تعرّف على مواطن الفصل في الآيتَين الكريمتَين، مبيّنا موضع كلّ حالة ومسوّغَها.

﴿ **اللَّهُ نُورُ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْـكَاةٍ فِيهَا مِصْـبَاحٌ ۖ الْمِصْـبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَـجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَـرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِـيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَـيْءٍ عَلِيمٌ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْـمُهُ يُسَـبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ**﴾[النّور/35- 36]

6. الحقيقة والمَجاز (أنواع المجاز)

عناصر الموضوع:

أ. الحقيقة والمجاز

ب. المجاز اللغويّ

ج. المجاز العقليّ

د.تدريب

أ. الحقيقة والمجاز

الحقيقة في البلاغة العربيّة، إمّا فَعيل بمعنى مَفعول من قولك حققتُ الشـــيء أحقّه إذا أثبتُّه، أو فعيل بمعنى فاعل من قولك حَقّ الشـيء يَحقّ إذا ثبت، أي المثبتة أو الثابتة في موضعها الأصليّ.[1]

وإنّ الصّـورة البيانيّة التي يبحثها علم البيان لا تؤدّي وظيفتها الفنيّة من خلال تلك الدلالة الوضـعيّة، ذلك أنّ «استخدام الكلِم في الصـورة المجازيّة مثلا هو استخدام خاصّ تنحرف فيه الكلمة عن أصل وضعها، لترود آفاقا دلاليّة جديدة يكون لها أثر في المعنى أو الغرض المدلول عليه به.»[2]

لذلك فإنّ الأثر الفنّيّ لتلك الصـــورة لم يكن ليتّضـــح- في نظر البلاغيّين- إلا بمقارنتها بصـورة أخرى ذات دلالة وضـعيّة على المعنى نفسـه، ومن هذه المقارنة يبدو الفارق الدلاليّ بين الصـــورتين. ولا أدَلّ على ذلك من أنّ البلاغيّين جعلوا مبحث المجاز تاليًا لمبحث الحقيقة، ويُعرِّف عبد القاهر الجرجانيّ الحقيقة البلاغيّة بقوله: «كلّ كلمة أُريد بها ما وقعتْ له في وضع الواضع.»[3]

أمّا المجاز فهو اســتعمال اللفظ على خلاف حقيقته فالحقيقة هي مرجِع المجاز ومنطلقُه، فالمجاز في اللغة[4] مَفعلٌ من جاز المكان يجوزه، إذا تعدّاه؛ أي تعدّت موضــعَها الأصـــليّ، والظاهر أنّه من قولهم جعلتُ كذا مجازاً إلى حاجتي - أي طريقاً له - على أنّ معنى جاز المكان سلكه على ما فسره الجوهريّ وغيره، فإنّ المجاز طريق إلى تصور معناه واعتبار التناسب في التسمية يغاير اعتبار المعنى في الوصف. «فكلُّ كلمة جُزتَ بها ما وقعتْ له في وضــع الواضــع إلى ما لم توضَــع له من غير أنْ تستأنف فيها وضــعًا، لملاحظة بين ما تَجوز بها إليه وبين أصــلها الذي وُضــعت له، في وضــعِ واضــعِها فهي مجاز.»[5]

1- يُنظر: القزوينيّ، الإيضاح، ص204- 205.

2- حسن طبل، المعنى في البلاغة العربيّة، ص86 .

3- عبد القاهر الجرجانيّ، أسرار البلاغة، ص 30.

4- يُنظر: القزوينيّ، الإيضاح، 205.

5- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص304.

إنّه يُستشَّف أمرٌ بالغ الأهميّة من تعريف عبد القاهر الجرجانيّ للمجاز، فقد انتبه إلى مسألة المجازات التي صارت من الحقيقة لكثرة جريانها في الاستعمال حتى اقتربت مِن لغة التخاطب اليوميّة، فهو يخصّ بالمجاز ما لم يكن الوضع مستأنفا فيه ضمن أعراف الجماعات اللغويّة.

هذا، وقد عدّ ابن رشيق القيروانيّ[1] المجازَ في كثير من الكلام أبلغَ من الحقيقة، وأحسنَ موقعا في القلوب والأسماع، وماعدا الحقائق من جميع الألفاظ ثمّ لم يكن محالا محضا، فهو مجاز، لاحتماله وجوه التأويل، فصار التشبيه والاستعارة وغيرهما من محاسن الكلام داخلة تحت المجاز، إلّا أنّهم خصّوا بالمجاز، بابا بعينه، وذلك أن يسمّى الشيء باسم ما قاربه أو كان منه بسبب، كما قال جرير بنُ عطية:

إذا سقَطَ السماءُ بأرض قومٍ ** رَعيناهُ وإنْ كانوا غِضَابَا

أراد المطرَ لقربه من السماء، ويجوز أن تريد بالسماء السّحاب، لأنّ كلَّ ما أظلّك سماءٌ، وقال سقط يريد سقوط المطر الذي فيه، وقال "رعيناه" والمطرُ لا يُرعى، ولكنّه أراد النّبت الذي يكون عنه، فهذا كلّه مجاز.

وعلى أساسٍ من انعقاد عمليّة الإسناد تلك «قسّم عبد القاهر الجرجانيّ المجاز إلى قسمين نراه لأوّل مرة في تاريخ البلاغة العربيّة، مجاز لغويّ يقع في المُثبَت، وعقليّ يقع في الإثبات.» [2] بمعنى أنّ تحليله الإسناد كان عقليا؛ إذْ إنّ الإسناد الذي لا يخالف مفهوم العقل وتصوّراته سمّاه إسنادا حقيقيّا، وما خالف مفهوم العقل وناقض تصوّراته سمّاه إسنادا مجازيّا (المجاز العقليّ).

ب. المجاز اللغويّ

إذا كان المجازُ اللّغويّ يقع في المُثبَت، أي في مدلول اللفظة المتحوّل معناها، فإنّه بالنظر إلى علاقة هذا التحوّل الدلاليّ، يكون على ضربَين[3]: مُرسَل، واستعارة؛ لأنّ العلاقة المُصحّحة إنْ كانت تشبيهُ معناه بما هو موضوع له فهو استعارة، وإلّا فهو مرسَلٌ،

1- يُنظر: ابن رشيق القيروانيّ ، العمدة،1/ 266.

2- عبد الفتاح لاشين، التراكيب النحويّة من الوجهة البلاغيّة عند عبد القاهر الجرجانيّ، د/ط. دار الجيل للطباعة والنشر، القاهرة مصر 1980، ص209.

3- يُنظر: القزوينيّ، الإيضاح، 205. وسيأتي الحديث عن الاستعارة مستقلّا في موضوع تالٍ مباشرة.

وكثيراً ما تطلق الاستعارة على استعمال اسم المُشبّه به في المشبه فيُسمّى المُشبه به مُستعاراً منه والمُشبّهُ مستعاراً له، واللفظ مستعاراً، وعلى الأوّل لا يشتق منه لكونه اسماً للفظ لا للحدث.

فالمُرسَل هو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة غير التشبيه، كاليد إذا استعملت في النّعمة لأنّ من شأنها أنْ تصدُر عن الجارحة، ومنها تصل إلى المقصود بها، ويشترط أنْ يكون في الكلام إشارة إلى المُولى لها؛ فلا يقال اتّسعت اليد في البلد أو اقتنيت يداً، كما يُقال اتّسعت النعمة في البلد أو اقتنيت نعمة، وإنّما يقال جلّتْ يدُه عندي، وكثُرتْ أياديه لديّ ونحو ذلك.[1]

ويُعرف البلاغيّون[2] العلاقة في المجاز المُرسَل، بأنّها الأمر الذي يقع به الارتباط بين المعنى الحقيقيّ والمعنى المجازي فيصح الانتقال من الأوّل إلى الثاني. وهذه العلاقة التي تربط في المجاز بين المعنيين: الحقيقي والمجازي قد تكون المشابهة نحو: رأيت زهرة تحملها أمَّها، تُريد: طفلة كالزّهرة في نضارتها وجمالها، وقد تكون العلاقة غيرَ المشابهة كالجزئيّة في قوله تعالى: ﴿ **وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ** ﴾ [البقرة/43] يُريد: وصلّوا، لأنّ الرّكوع جزءٌ من الصلاة، فأطلق الجزَءَ وأراد به الكلّ، مجازا.

أمّا القرينة فعرّفها البلاغيّون أيضا، بأنها الأمرُ الذي يَصرفُ الذّهن عن المعنى الحقيقيّ إلى المعنى المجازيّ، وهي إمّا قرينة عقليّة أي حاليّة نحو: "أقبل بحرّ" والسامعُ يرى رجلا، وإما قرينة لفظيّة نحو: "رأيت بحرا يَعظ النّاس من فوق المِنبر" فعبارة "يعظ الناس من فوق المنبر" قرينة لفظيّة، تدلّ على أنّ لفظة "بحر"، استعملتْ استعمالا مجازيّا، وهي تمنع في الوقت ذاته من إرادة المعنى الحقيقيّ لهذه اللفظة.

ج. المجاز العقليّ

المجازُ العقليّ هو انحراف عن النمط المثاليّ للإسناد، بحيث يومئ إلى وجود نمط دلاليّ أوليّ في المستوى اللفظيّ أطلق عليه (المعنى)، ثُمّ نمطٍ دلاليّ مُولّد عنه في المستوى

1- يُنظر: القزوينيّ، الإيضاح، ص205.

2 - يُنظر مثلا : عبد العزيز عتيق، علم المعاني، البيان، البديع، ص350 وما بعدها.

المنحرف أطلق عليه (معنى المعنى)، الذي يتأسّس من ركيزتين تتّصل إحداها بالصيغة اللفظيّة، والأخرى بحركة العقل وكفاءته في الاستنباط.

وعرّفه السكاكيّ بأنّه ((الكلام المُفاد به خلافُ ما عند المُتكلم من الحُكم فيه، لضرب من التأويل إفادةً للخلاف، لا بواسطة وَضعٍ، كقولك: أنبتَ الربيعُ البقل، وشفَى الطبيبُ المريضَ، وكسا الخليفةُ الكعبة، وهزم الأميرُ الجند، وبنى الوزيرُ القصر.)) [1]

وعرّفه الخطيب القزوينيّ بقوله: ((هو إسناد الفعل أو معناه إلى ملابس له غير ما هو له بتأويل. وللفعل ملابسات شتى، فهو يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والسبب، فإسناد الفعل إلى الفاعل إذا كان مبنيا له حقيقة، وكذا إسناده إلى المفعول إذا كان مبنيا له. أمّا إسناد الفعل إلى غيرهما لمشابهته لما هو له في ملابسة الفعل فمجاز، كقولهم في المفعول به: ﴿**فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ**﴾[القارعة/7]، وماء دافق، وكقولهم في عكسه: سَيلٌ مُفعم، وفي المصدر: شِعر شاعرٌ، وفي الزمان: نهارُه صائمٌ وليلهُ قائمٌ، وفي المكان: طريقٌ سائرٌ، ونهرٌ جارٍ، وفي السبب: بنى الأميرُ المدينة.)) [2]

أمّا عبد القاهر الجرجاني[3] فيُسمّي هذا الضرب من المجاز "المجاز الحُكميّ"، ويُفهم من كلامه أنّه يَقصد به المجاز، الذي لا يكون في الكلمة ذاتها واللفظِ نفسِه، ففي قولك: "نهارك صائم وليلك قائم"، ليس المجاز في نفس "صائم وقائم"، ولكنْ في إجرائهما خبرَين على "النهار والليل". وكذلك في قوله تعالى:

﴿ **فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ**﴾[البقرة /16] إذْ ليس المجاز في لفظة "رَبحتْ" نفسِها ولكنْ في إسنادها إلى "التجارة". فكلّ لفظة هنا أريد بها معناها الذي وُضعتْ له على وجهه وحقيقته- فلم يُرِد بصائم غير الصّوم، ولا بقائم غير القيام، ولا بـ "ربحتْ" غير الرّبح.

وتتعدّد علاقاتُ المجاز العقليّ، بحسب طبيعة دلالة المعنى الإسناديّ المجازيّ فتكون سببيّة، أو زمانيّة، أو مكانيّة، أو مصدريّة، أو مفعوليّة، أو فاعليّة. نحوُ ما في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ**﴾ [غافر /36]، فإنّ في

1- السكاكيّ، مفتاح العلوم، ص503.

2- يُنظر: القزوينيّ، الإيضاح، ص32.

3- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص194. **وَيُنظر:** عبد العزيز عتيق، علم المعاني، البيان، البديع، ص337 وما بعدَها.

إسـناد بناء الصّـرح إلى هامان وزير فرعون، مجازاً عقليّاً علاقته السـببيّة، لأنّ هامان لم يَبنِ الصّـرح بنفسـه، وإنّما بناهُ عمّالُه، ولكن لما كان هامان سبباً في البناء أسند الفعل إليه.
وفي قول المتنبّي:

والهمُّ يخترمُ الجسيمَ نحافةً ** ويُشيبُ ناصيةَ الصبيّ ويهرمُ

إنّ الفعل "يخترمُ" بمعنى يهلك وقد أسـند إلى "الهمّ" أي إلى غير فاعله الحقيقيّ، لأنّ الهمّ لا يهلك الجسـم وإنّما الذي يهلكه هو المرض الذي سـببه الهمُّ، وكذلك الفعل "يشيب" أُسنِد إلى ضمير الهمّ، أي إلى غير فاعله الحقيقيّ أيضا، لأنّ الهمّ لا يُشيب الرأس، وإنّما الذي يُشيبُه حقيقةً، هو الضّعف في جذور الشعر الناشئ عن الهمّ، وعلى هذا فإسنادُ الإختِرام والإشابة إلى الهمّ، مجازٌ عقليّ علاقته السببيّة.

د. تدريب

1/عُدْ بمفردة "المجاز" إلى أحد معاجم اللغة، وتعرّف على مدلولها اللغويّ ومختلف استعمالاتها في كلام العرب.

2/ تعرّفْ، في الأمثلة الآتية، على نوعَيّ المجاز (المرسل والعقليّ) مبيّنا علاقة كلّ مجاز، وأثرَه في المعنى.

- قال المتنبّي:

صحبَ الناس قبلَنَا ذا الزّمانَا ** وعنَاهم مِن أمرِهِ ما عنَانَا
وتَولَّوا بغصة كلّهُم مِنـــــــ ** ـهُ وإن سر بعضهم أحيانا

- وقال شاعرٌ:

رُبّمَا تُحسِنُ الصّنيعَ لَيَالِيـ ** ـهِ وَلَكِنْ تُكَدّرُ الإحْسَـــانَا
كلما أنبت الزمان قنـــاة ** رَكّبَ المرءُ في القناة سِنانَا

- وقال آخرُ:

سَيذكرُني قَومِي إذا جَدّ جدُّهُمُ ** وفي الليلةِ الظّلماءِ يُفتقدُ البدرُ

- وقال آخرُ:

تسيلُ على حدّ السيوف نفوسُنا ** وليستْ على غيرِ السُّيوف تسيلُ

- وقال آخرُ:

لا أركبُ البحر إنّي ** أخافُ منه المَعــاطبْ
طينٌ أنا وهْوَ مــاءٌ ** والطينُ في الماء ذائبْ

- وقال تعالى:

﴿**وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا**﴾ [غافر /13]

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتامى ظُلْماً إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ناراً﴾

[النساء/10]

﴿وَإِنِّي كُلَّما دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ﴾ [نوح/7]

7. التشبيه وأضربه

عناصر الموضوع:

أ. التشبيه

ب. أقسامُه

- **التقسيم الأوّل: بمراعاة أداة التشبيه ووجه الشبه**
- **التقسيم الثاني: بمراعاة وجه الشّبه، من حيث تحقّقه في الطرفين أو عَدَمه**
- **التقسيم الثالث: بمراعاة ظهور التشبيه وخفائه**
- **التقسيم الرّابع: بمراعاة انعكاسِ طرفَيه وعدَمِه**
- **التقسيم الخامس: بمراعاة وجه الشّبه، من حيث كونُه صورةً مُنتزعة مِن مُتعدِّد**

ج. تدريب

أ. التشبيه

1- تعريفه:

يُعرِّف أبو هلال العسكريّ التشبيه بقوله: « التشبيه: الوصفُ بأنْ ينوب أحدُ الموصوفَين منابَ الآخر بأداة التشبيه، ناب منابَه أو لم يَنُبْ، وقد جاء في الشعر وسائر الكلام بغير أداة تشبيه، وذلك قولك: (زيد شديد كالأسد)، فهذا القول هو الصواب في العرف وداخل في محمود المبالغة، وإن لم يكن زيدٌ في شدّته كالأسد على حقيقتهّ.» [1]

2- أركانُه:

يكاد يُجمع علماء البلاغة قدماء ومحدثين على أنّ للتشبيه أربعةَ أركان يقوم عليها[2]

- المُشبّه والمُشبّه به: ويسميّان (طرفيّ التشبيه).
- أداة التشبيه، وهي الكاف أو نحوها ملفوظة أو مُقدّرة.
- وجه الشّبه، وهو الصّفة أو الصفات التي تجمع بين الطرفين المُشبّه والمُشبّه به.

ب. أقسامُه

تباينتْ تقسيماتُ علماء البلاغة للتشبيه، بين مَن يعتدّ ببنيته اللغويّة وباستيفائه أركانَه، ومَن يعتدّ بأبعاده الفنيّة والدلاليّة، فكانت أنواع التشبيه وأقسامُه تنتظم تبَعاً لكلّ أساس، تُحلّل به عناصرُ هذه الظاهرة البلاغيّة.

- **التقسيم الأوّل: بمراعاة أداة التشبيه ووجه الشبه**[3]

وتَنسلّ منه أربعة أنواع:

1/ التشبيه المُرسَل المُفصَّل:

ويُعرف بالتشبيه التامّ، وهو التّشبيه الذي ذُكرتْ فيه الأركانُ الأربعة جميعاً، ويُعدّ هذا القسم أوّل مراتب التشبيه الخالية من المبالغة، وذلك لأنّ المبالغة - التي حقيقتها هنا ادّعاء

1- أبو هلال العسكريّ، كتاب الصناعتين، ص239.

2- يُنظر مثلا: عبد العزيز عتيق، علم المعاني، البيان، البديع، ص258.

3- الشيخ معين دقيق العامليّ، دروس في البلاغة، ط1. دار جواد الأئمّة، بيروت، لبنان، 2012، ص123 وما بعدها.

أنّ المشبّه عين المشبّه به- لا تتلاءم مع وجود الأداة، ووجه الشبه؛ لأنّ الأداة تفصل بين الطرفَين وتميّزهما عن بعض، وذكرُ الوجه يحصر التشابه بينهما في جهة مخصوصة، وهي الصّفة أو الصفات المذكورة، و من أمثلة هذا القسم قولُ البحتريّ:

قُصُورٌ كَالكَواكِبِ لامِعَاتٌ ** يَكدْنَ يُضِئْنَ لِلسَّارِي الظّلاَما

2/ التشبيه المُرسَل المُجمَل:

وهو ما ذُكر فيه الأداة، وحُذف منه وجه الشّبه، فالإرسال من ناحية الأداة، والإجمال مِن جِهة الوجه. نحوُ قوله تعالى:

﴿ **وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ**﴾[الرحمن/24]

3/ التشبيه المُؤكَّد المَفصَّل:

وَهو ما حُذف فيه الأداة، وَذُكر فيه وجه الشّبه، فالتأكيد باعتبار حذف الأداة، والتفصيل باعتبار ذِكْر الوجه. و من أمثلته قول الشاعر:

أنتَ نَجْمٌ فِي رِفْعَةٍ وَضِياءٍ ** تَجْتَلِيكَ العُيُونُ شَرْقا وَغَرْبا

4/ التشبيه المؤكّد المُجمَل، (ويُعرف بالتشبيه البليغ):

وهو ما حذف منه الأداة والوجه معا، وَفي هذا القسم يصل التشبيه إلى الذّروة في المُبالغة، نحو قوله تعالى:

﴿ **وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا**﴾ [النبأ/20] أيْ: كالسّراب في كونها تُرى على هيئة شيء وهي ليست بشيء.

والتشبيه البليغ هو أعلى مراتب التشبيه وأقواها مبالغةً، لِما فيه من اِدّعاء أنّ المشبه هو عينُ المشبه به، ولِمَا فيه من الإيجاز الذي يجعل نفس السامع تذهب كلّ مذهب، ويوحي لها بصور شتىّ من وجوه التشبيه، حيث إنّ ذلك التطابق التامّ، بين طرفيّ التشبيه البليغ (المشبّه به، والمشبّه) هو ما يُميّزه من بقية أنواع التشبيه الأخرى، مثلما يزعم البلاغيّون، وذلك من خلال حذف الأداة ووجه الشبه، وهي قرائن دالّة على المشابهة والمماثلة بين العنصرين، ففي قولنا: زيد أسد. فإنّ إسناد (أسد) إلى (زيد) بالإخبار، من قبيل نقل دلالة (الأسد) من مستوى المعنى المعجميّ (حيوان مُفترِس) إلى الدلالة الإسناديّة الجديدة في التركيب المذكور آنفا، وما من شكّ في أنّ مرجع هذا الإسناد المجازيّ، كان المبالغة في تشبيه زيد بالأسد في القوّة والجَـرأة والانطلاق.

- **التقسيم الثاني: بمراعاة وجه الشّبه، من حيث تحقّقه في الطرفين أو عَدَمُه**

ويتفرّع إلى ضربين: [1]

1/ التشبيه التحقيقيّ: وهو ما يكون وجه الشبه فيه موجودا في الطرفين حقيقة، نحوُ ما في قولـه تعالى: ﴿ **وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ** ﴾[يس/39] فإنّ التقوّس كما هو مَوجود في الهلال حقيقة، وكذلك هو في العرجون القديم.

2/ التشبيه التخِييليّ: وهو ما يكون وجهُ الشبه فيه مَوجودا في أحد الطرفَين، أو في كليهما، على سبيل التخييل والتأويل، كقول الإمام عليّ كرّ الله وجهه، يصف حالَ الناس في أيامهم المُقبِلة: " فتنٌ كقطع اللّيل المُظلم" فوجه الشّبه، وهو الظلمة، وإنْ كان موجودا في المُشبّه به حقيقة، لكنّه غيرُ موجود في المُشبّه إلاّ تخييلاً .

- **التقسيم الثالث: بمراعاة ظهور التشبيه وخفائه**

ويتفرّع إلى قسمَين:

1/ التشبيه الصّريح:

وهو التشبيه الذي يكون ظاهرا في العبارة؛ لوضع طرفيّ التشبيه فيه، في قالب من قوالب التشبيه المعهودة. وإنّ ما تقدم من أمثلة كلّها من باب التشبيه الصّريح.

2/ التشبيه الضمنيّ:

وهو تشبيه لا يوضع فيه طرفاه في صورة من صُور التشبيه المعروفة، بل يُلمحان في التركيب، وهذا ضربٌ من التشبيه يُؤتى به، ليُفيد أنّ الحكم الذي أسنِد إلى المشبّه ممكنٌ.[2] حيث لا يكون ظاهراً في الكلام، بل يُفهم منه تلميحا؛ لعدم وضع الطرفَين في صورة من صور التشبيه المعهودة، ويكون المُشبّه به فيه برهانا على إمكان ما أُسند إلى المُشبه، نحو ما في قول أبي تمّام:

لا تُنْكِري عَطَلَ الكريمِ مِنَ الغِنى ** فَالسَيْل حَرْبٌ لِلمكانِ العَالِي

أيْ: لا تنكري خلوّ الرجل الكريم من الغنى، فإنّ ذلك ليس عجيبا؛ لأنّ قمم الجبال، وهي أشرفُ الأماكن وأعلاها، لا يستقرّ فيها ماءُ السيل، فهو يريد أنْ يشبّه الرّجل الكريمَ،

1- الشيخ معين دقيق العامليّ، دروس في البلاغة، ص42.

2- يُنظر: عبد العزيز عتيق، علم المعاني، البيان، البديع، ص296- 296.

المحرومَ من الغنى، بقمّة الجبل وقد خلتْ من السّيل، لكنّه لم يُصرّح بذلك، بل إنّ الشطر الثاني من البيت جاء مُنفصلا عن الأوّل تمامَ الانفصال.

- **التقسيم الرّابع: بمراعاة انعكاسِ طرفَيه وعدَمِه**

ويتفرّع إلى قسمين:

1/ التشبيه المَقلوب:

وهو التشبيه الّذي يُجعل فيه ما كان أصله مُشبّها به مُشبّها، وما كان أصله مُشبّها به؛ قصدا إلى إيهام أنّ ما صار مُشبّها به، أتمّ في وجه الشّبه من الذي صار مُشبها، حتى تحوّل إلى أصل، والآخر إلى فرع، اعتمادا على القاعدة المعروفة، مِن كون الوجه في المشبه به أتمّ، نحوُ ما في قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا** ﴾[البقرة/275] فإنّ المقصودَ في الأصل، أنّهم جعلوا الرّبا كالبيع، زعْماً أنّ الربا أولى بالحلّ من البيع، حتى جعلوه أصلاً بالقياس عليه.

ومن أمثلته في الشِّعر، قول محمّد بن وهيب:

وَبَدَا الصّباحُ كأنّ غُرَّتَهُ ** وَجْهُ الخليفةِ حِينَ يُمْتَدَحُ

2/ التشبيه غيرُ المَقلوب:

وهو التشبيه الأصليّ البسيط الذي يكون فيه المشبّه هو مناط الفائدة والاهتمام وغاية المتكلّم، ويكونُ المشبّه به الموضِّحَ والمُقرِّبَ لمعنى الأوّل وصورتِه.

- **التقسيم الخامس: بمراعاة وجه الشّبه، من حيث كونُه صورةً مُنتزعة مِن مُتعدِّد**

ويتفرّع إلى قسمين:

1/ التشبيه التمثيليّ:

وَهو ما كان وجهُ الشّبه فيه صورة مُنتزَعة من مُتعدّد، نحوُ ما في قوله تعالى: ﴿**اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ** ﴾[الحديد/20].

إذْ شُــبّهتْ حال الدنيا، وذهابِ نعيمها، وقلّة نفعها، بحال النبات، الذي يخلب الأنظار بنضـرته، ثم يَصـفرّ فجأة ويَيْبس، ويُصـبح حطاما وهشـيما تذروهُ الرياح، فإنّك تجدُ وجهَ الشّبه في هذا التشبيه ـــ وهو الاغترارُ بالشـيء، والتكالب عليه، ثم زواله وانقضاؤه فجأة كأنْ لم يكن ـ صورةً مُنتزَعةً من مُتعدّد.

2/ التشبيه غيرُ التمثيليّ:

وهو ما لمْ يَكنْ وجهُ الشّــبه فيه صــورة مُنتزعَةَ مِن مُتعدّد، مِن نحو ما في قول المتنبّي: وَ مَا المَوتُ إلاّ سَارِقٌ دَقَّ شَخْصُه ** يَصولُ بلا كَفٍّ وَ يَسعى بِلا رِجْلِ

فوجه الشّبه، وهو الخفاء وعدم الظهور، مُفردٌ، موجودٌ في كلٍّ من الطرفَين، وليس صورةً مُنتزعَة من عدّة أشياء.

ج. تدريب :

1/ ولمّا كان التشــبيه البليغ ذلك النوع من التشــبيه الذي لم يبق من أركانه ســوى الطّرفَين (المشبّه، والمشبّه به) صار وسيلة من وسائل نقل الدلالة الإفراديّة (المداخل المعجميّة) من حقل دلاليّ إلى آخر، وبرّر ذلك أحدُ الدارســين بقوله: « لأنّ الوصــف يحمل جرثومة الحديث بدلالته على مَوصوف بالحدث، وهذا الحدث هو الصّالح أنْ يكون مُسندا (...) لأنّ المُسمّى لا يشتمل على الحدث، ولا يَصلح أنْ يكون مُسندا (...) ومع ذلك نرى من المُمكن، إمّا عن طريق النقل، وإمّا عن طريق التشبيه البليغ، أنّ الاسم ينتقل إلى الوصفيّة.»

ـ تمّام حسان، البيان في روائع القرآن، ص42.

حلّل مقولة الدكتور تمّام حســان، أعلاه، في ضــوء فهمك لوظيفة التشــبيه البليغ التركيبيّة (النّحويّة).

2/ اقرأ هذه الأبيات من قصيدة البحتريّ في وصف بِركة المتوكّل، الخليفة العباسيّ وفيها يُصوّر الشاعر إعجابه بما تميّزت به هذه البركة من حُسن أخّاذ، فترجمَ هذا الإعجاب إلى صور متنوّعة من التشبيه، تموج بأسباب الأُنس والسعادة.

تعرّفْ على مجموع التشــبيهات الواردة في النصّ، مبيّنا نوع كل تشــبيه، ومدى ملاءمته لمضمون القصيدة وغاية الشاعر.

كأَنَّ جِنَّ «سُلَيْمَانَ» ٱلَّذين وَلُوا ... إبْدَاعَها فأَدَقُّوا فى مَعَانِيهَا

فَلَوْ تَمُرُّ بِها «بِلْقِيسُ» عَنْ عُرُضٍ ... قالَتْ: هِيَ الصَّرْحُ تَمْثِيلاً وتَشْبِيهَا

تَنْحَطُّ فِيهَا وُفُودُ ٱلْمَاءِ مُعْجَلَةً ... كَٱلْخَيْلِ خارجَةً مِنْ حَبْلِ مُجْرِيهَا

كأَنَّمَا ٱلفِضَّةُ ٱلبَيْضَاءُ سائِلَةً ... مِنَ السَّبَائكِ تَجْرِى فى مَجَارِيهَا

إذا عَلَتْهَا الصَّبَا أَبْدَتْ لَهَا حُبُكاً ... مِثلَ ٱلْجَوَاشِنِ مَصْقُولاً حَوَاشِيهَا

فَرَوْنَقُ الشَّمْسِ أَحْيَاناً يُضَاحِكُهَا ... ورَيِّقُ ٱلْغَيْثِ أَحْيَاناً يُبَاكِيهَا

إذا النُّجُومُ تَرَاءَتْ فى جَوَانِبِهَا ... لَيْلاً حَسِبْتَ سَمَاءً رُكِّبَتْ فِيهَا

لا يَبْلُغُ السَّمَكُ ٱلْمَحْصُورُ غَايَتَها ... لِبُعْدِ ما بَيْنَ قاصِيهَا ودَانِيهَا

يَعُمْنَ فِيهَا بأَوْسَاطٍ مُجَنَّحَةٍ ... كالطَّيْرِ تَنْفُضُ فى جَوٍّ خَوَافِيهَا

لَهُنَّ صَحْنٌ رَحِيبٌ فى أَسَافِلِهَا ... إذَا ٱنْحَطَطْنَ ، وبَهْوٌ فى أَعَالِيهَا

صُورٌ إلىٰ صُورَةِ الدُّلْفِينِ يُؤْنِسُهَا ... مِنهُ ٱنْزِوَاءٌ بِعَيْنَيْهِ يُوَازِيهَا

تَغْنَى بَسَاتِينُهَا ٱلْقُصْوَىٰ بِرُؤْيَتِهَا ... عَنِ السَّحَائبِ مُنْحَلاًّ عَزَالِيهَا

كأَنَّها حِينَ لَجَّتْ فى تَدَفُّقِها ... يَدُ ٱلخَلِيفةِ لَمَّا سالَ وَادِيهَا

سليمان : هو النبى سليمان بن داود عليه السلام . وقد سخر الله له الجن .

حبك الماء : الجعد المتكسر ، ويقصد به التكسر الذى يبدو على الماء إذا مرت به الريح .

الجواشن : الدروع ؛ واحدتها جوشن .

المصقول : المجلو .

الحواشى : جمع الحاشية وهى من الشىء جانبه .

الخوافى : ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت

8. الاستعارة. الكناية

عناصر الموضوع:

أ. الاستعارة

ب. الكناية

ج. تدريب

أ. الاستعارة

الاستعارة- في عُرف البلاغيّين- من المجاز اللغويّ، فهي، في الأصل، تشبيه حذف أحد طرفيه، فالعلاقة بين المستعار منه والمستعار له في أسلوب الاستعارة المشابهة على الإطلاق. والاستعارة في لغة رفع الشيء وتحويله من مكان إلى آخر، يقال استعار فلانٌ سهما من كنانته: رَفَعهُ وحوّلهُ منها إلى يده. وعلى هذا يصحّ أنْ يُقال استعارَ إنسانٌ من آخر شيئا، بمعنى أنّ الشيء المستعارَ قد انتقل من يد المُعير إلى المُستعير للانتفاع به. ومن ذلك يُفهم ضمنا أنّ عمليّة الاستعارة، لا تتمّ إلّا بين متعارفَين تجمع بينهما صلةٌ ما.

وفي تعريف الاستعارة أورد الأستاذ عبد العزيز عتيق مجموعة من أقوال علماء البلاغة[1]:

1- عرّفها الجاحظ بقوله: «الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه.»

2- وعرّفها ابن المعتز بقوله: «هي استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء قد عرف بها.»

3- وعرّفها قُدامة بنُ جعفر بقوله: «هي استعارة بعض الألفاظ في موضع بعض على التوسع والمجاز.»

4- وعرّفها القاضي الجرجانيّ بقوله: «فأما الاستعارة فهي أحد أعمدة الكلام، وعليها المعول في التوسّع والتصرّف، وبها يتوصّل إلى تزيين اللفظ، وتحسين النظم والنثر.» وعرّفها مرّة أخرى بقوله: «ما اكتفي فيها بالاسم المستعار عن الأصليّ ونُقلت العبارة فجُعلت في مكان غيرها، وملاكها بقرب التشبيه، ومناسبة المستعار للمستعار له، وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما مُنافرة، ولا يتبيّن في أحدهما إعراض عن الآخر. » (العمدة ،1/ 270)

5- وعرّفها أبو الحسن الرمانيّ «الاستعارة استعمال العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة. ومثل لها بقول الحجاج: «إنّي أرى رؤوساً قد أينعتْ وحان قطافُها.» (العمدة،1 /271)

1- يُنظر: عبد العزيز عتيق، علم المعاني، البيان، البديع، ص296- 296. **وَيُنظر:** ابن رشيق القيروانيّ، العمدة، 1/ 270.

ويُفصّـــل عبد القاهر الجرجانيّ الحديث عن الاســـتعارة وما تعتليه من منازل الشـــرف والحُســـن؛ فيقول: « إنّك لترى الجماد حيّا ناطقا، والأعجم فصـــيحا، والأجســـام الخرص مبينـة، والمعـاني الخفيـة بـاديـة جليـة، وإذا نظرت في أمر المقاييس وجدتهـا- ولا ناصر لها- أعزّ منها، ولا رونق لها ما لم تُزنْها.» [1]

وتأخذ الاستعارة -حسب الجرجانيّ[2]- في التنوع فيقسّمها أقساما على أساس اللفظ المستعار، ويؤكـد أنّ كل لفظة دخلتهـا استعـارة مفيدة لا تخلـو من أن تكون اسما أو فعلا، ويمثل للأول بـــ(رَنَتْ لنا ظبية)، فالظبية اسم مستعار للدلالة على امرأة أمّا الثاني، فمثاله (أخبرتني أسـاريرُ وجهه بما في ضـميره)؛ فالفعل (أخبر) لفظ مستعار للدلالة على الاهتداء من خلال أسارير الوجه لمعرفة حال معينة.

ويكون المُشبّه في أسلوب الاستعارة (المستعار له) ضروريّا في عمليّة التواصل، كونُه الموضـوعَ المراد توضـيحه، فهو قرينة أسـاسـيّة في تحليل معنى الاسـتعارة وقياس البُعد الفنيّ فيه.

فعنـدمـا نتـأمّـل قوله تعالى: ﴿**فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ**﴾ [الأنفال/ 35] نجد هذا الخطاب موجّها إلى المشـركين بُعيْد انهزامهم في غزوة بدر الكبرى، وما أصـابهم من ذلّ وخزي بعد أنْ أحلت غنائمهم وأُسِـر فرسـانُهم، وكان كلّ هذا عذابا لهم في الدنيا. وإنّ التركيب الإسـناديّ (ذوقوا العذاب) متضـمّن إسـناداً مجازيّا، فليس للعذاب ذوق في وضـع اللغة، وإنّما اســـتعير لفظ (ذوقوا) المســـند للدلالة على أنّ ما تجرّعه المشـــركون من ألم واستكراه وذلّ، لا يقلّ أثرا من تجرّع مادّة تنفر منها النفوس، وتقشـعرّ منها الأبدان، ولعلنا نُسجِّل تصويرا نفسيّا لحال المشركين من خلال تحوّل دلالة الفعل (ذاق) في الآية الكريمة.

هذا، وقد قسّـم البلاغيّون الاسـتعارة من حيث ذِكرُ أحد طرفَيها، إلى تصـريحيّة ومكنيّة. ولبيان هذين النوعَين من الاســـتعارة نورد[3] فيما يلي طائفة من الأمثلة بالشـــرح والتوضيح.

قال المتنبي في وصف دخول رسول الروم على سيف الدولة:

1- عبد القاهر الجرجانيّ، أسرار البلاغة، ص33.

2- ينظر: نفسُـــه، ص34.

3- يُنظر: عبد العزيز عتيق، علم المعاني، البيان، البديع، ص370.

وأقبلَ يَمشي في البساط فما دَرى ** إلى البحرِ يَسعى أمْ إلى البدرِ يَرتقي

ففي صـــدر هذا البيت مجاز لغويّ، أي كلمة اســـتعملتْ في غير معناها الحقيقيّ وهي "البحر" والمقصـــود بها ســـيف الدولة (الممدوح)، والعلاقة المشـــابهة، والقرينة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقيّ لفظية، وهي "أقبل يمشي في البساط".

وفي عَجُز البيت مجـاز لغويّ آخر، أي كلمة اســـتعملت في غير معناها الحقيقيّ، وهي "البدر"، والمقصـود بها أيضـا سيف الدولة (الممدوح)، والعلاقة بين البدر والممدوح المشـابهة في الرِّفعة، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقيّ لفظيّة أيضـا، وهي "فأقبل يمشي في البساط"، وقال شاعر:

وإذا العنايةُ لاحظتْك عيونُها ** نمْ فالمخاوفُ كلهنّ أمانُ

إنّ المجـاز اللغوي في كلمـة "العنـايـة"، فالذي يفهم من البيت أنّ الشـــاعر يُريد أنْ يُشبّه "العناية" بإنسـان، وأصـل الكلام: العناية كامرأة لاحظتْك عيونُها، ثم حَذف المشبّه به "المرأة" فصـــار "العنـايـة لاحظتْك عيونهـا"، على تخيل أن العناية قد تمثلت في صـــورة امرأة، ثم رمز للمشـــبه به المحذوف بشـــيء من لوازمه، هو "لاحظتك عيونُها" والذي هو القرينة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقيّ.

وقـال الحجـاج من خطبتـه في أهل العراق: "إنّي لأرى رؤوســـاً قد أينعتْ وحـان قطـافُهـا وإنّي لصـــاحبُها"؛ فـالمجـاز اللغويّ هنا في كلمة "رؤوس"، وأصـــل الكلام على التشـــبيه "إنّي لأرى رُؤوســـا كالثمرات قد أينعتْ وحان قطافُها" ثم حَذف المشـــبّه به وهو "الثمرات"، فصـــار الكلام "إنّي لأرى رُؤوســـا قد أينعتْ وحـان قطـافُها"، على تخيّل أنّ الرؤوس قد تمثلت في صورة ثمار، ثم رمز للمشبّه به المحذوف بشيء من لوازمه هو "قد أينعت وحان قطافها".

وإنّه حين كان المُشـبّه به في هذا النوع من الاسـتعارة مُحتجَبا سُـمّيتْ "اسـتعارة مكنيّة". من هذه الأمثلة وشـرحها يتّضـح أنّ الاسـتعارة من حيث ذِكرُ أحد طرفَيها نوعان؛ الاستعارة التصـريحيّة، وهي ما صرّح فيها بلفظ المشبّه به، أو ما استُعير فيها لفظ المشبه به للمشـبه. والاسـتعارة المكنيّة وهي ما حذف فيها المشـبه به أو المسـتعار منه، ورُمز له بشيء من لوازمه.

ب. الكناية

1- تعريفها:

الكنايةُ في اللغة مصـــدر كنيت بكذا عن كذا إذا تركت التصـــريح به، الكناية تقابل بالتصـريح ، لأنها مشـتقة من الكنو، أو الكني، وهو السّتر، وجاء في لسـان العرب «الكُنية على ثلاثة أوجُه: أحدها أن يكنى عن الشـيء الذي يستفحش ذكرُه، والثاني أنْ يُكنّى الرّجُل باسـم توقيرا وتعظيما، والثالث أنْ تقوم الكُنية مقامَ الاسـم، فيُعرفَ صـاحبها بها كما يُعرف باسمه، كأبي لهب اسمه عبد العُزّى، (...) والكناية: أنْ تتكلم بشـيء وتريد غيرَه.» [1]

والكنـاية في اصـــطلاح أهل البلاغة[2]: لفظٌ أُطلق وأُريد به لازمُ معناه، مع جواز إرادة ذلك المعنى. ومثـال ذلك لفظ "طويل النّجـاد"، المراد بـه طول القامـة مع جواز، أنْ يُراد حقيقة طول النّجاد أيضـا، فالنّجاد حمائل السّـيف، وطول النّجاد يَسـتلزم طولَ القامة، فإذا قيل: "فلانٌ طويل النجاد"، فالمراد أنّه طويلُ القامة، فقد اسـتُعمل اللّفظ في لازم معناه، مع جواز أنْ يُراد بـذلك الكلامِ الإخبارُ بأنّه طويل حمائل الســـيف وطويل القامة، أي يُراد المعنى الحقيقيّ واللازميّ.

2- أقسامها

إنّه بالعودة[3] إلى تقسـيم السـكاكيّ والقزوينيّ سَـنجدُ أنّ المطلوب بالكناية عندهم لا يَخرج عن ثلاثة أقسـام هي: طلب الصّـفة نفسِـها، وطلبُ الموصـوف نفسِـه، وطلبُ النّسـبة. ومعنى هذا أنّهم يقسّـمون الكناية باعتبار المُكنّى عنه ثلاثة أقسـام، تتمثل في أنّ المُكنّى عنه عندهم: قد يكون صفة، وقد يَكون موصوفا، وقد يَكون نسبة.

إنّ **كناية الصّـفة** هي التي يُطلب بها الصـفةُ نفسُـها، والمُراد بالصّـفة هنا الصـفة المعنويّـة كـالجود والكرم والشـــجاعة وأمثالها لا النعت. ومن أمثلة ذلك قولُ عمرَ بنِ أبي ربيعة في صاحبته "هند":

1- ابن منظور، لسان العرب، مادة (ك ن ي)

2- يُنظر: عبد العزيز عتيق، علم المعاني، البيان، البديع، ص397.

3- لخّص ذلك الأستاذ عبد العزيز عتيق. **يُنظر:** عبد العزيز عتيق، علم المعاني، البيان، البديع، ص406 وما بعدها.

نظرتُ إليها بالمُحصّب مِن مِنى ** ولي نظرٌ لولا التحـــــــرّج عارمُ

فقلتُ أشمسٌ أم مصابيحُ بَيـــعة ** بدتْ لك تحت السّجف أم أنت حالمُ

بعيدةُ مَهوى القُرط إمّا لنـــوفلٍ ** أبوها وإمّا عبدُ شمسٍ وهاشـــــــم

فإنّ الكنـايـة جـاءتْ في البيـت الثـالـث، هي "بعيـدةُ مَهوى القُرط"، ومَهوى القرط المسـافة من شـحمة الأذن إلى الكتف، فابن أبي ربيعة يصـف صـاحبته بأنّها بعيدة مهوى القرط، وهو بهذه الصـــفة يُريد أنْ يدلّ على أنّ هنداً "طويلـة الجِيد"، ولهذا عدَل عن التصـريح بهذه الصـفة إلى الكناية عنها، لأنّ بعد المسـافة بين شحمة الأذن والكتف، يستلزم طول الجِيد.

وأمّا كناية المَوصـوف: وهي التي يُطلب بها الموصـوف نفسُـه، والشـرط هنا أنْ تكون الكناية مُختصّـة بالمكنيّ عنه لا تتعدّاه، وذلك ليحصـل الانتقال منها إليه، ومن أمثلة ذلك قول أبي نَوّاس في وصف الخمرة:

فَلَمّا شَرِبناها ودبَّ دبيـــــبُها ** إلى موطنِ الأسرار قلتُ لها: قِفِي

مَخافةَ أنْ يسطو عليّ شعاعُها ** فيطّلعَ نُدماني على سرّيَ الخفـــِي

فالكنـايـة في البيت الأول هي "موطن الأســـرار"؛ يُريد أبو نوّاس أن يقول: "فلما شــربنا الخمرَ ودبّ دبيبها"، أي ســرى مفعولها إلى القلب أو الدماغ قلتُ لها: "قِفِي". ولكنّه انصـــرف عن التعبير بالقلب أو الدماغ، بهذا التعبير الحقيقيّ الصّـــريح، إلى ما هو أملح وأوقع في النفس، وهو "موطن الأســـرار"، لأنّ القلب أو الدماغ يُفهم منه أنّه مكان الســـرّ وغيره من الصـفات، فكناية "موطن الأسـرار" عن القلب أو الدماغ كناية عن "موصـوف"، لأنّ كليهما يوصف بأنّه موطنُ الأسرار.

وأمّا **كناية النســبة** فيُراد بها إثبات أمرٍ لأمر أو نفيُه عنه، أو بعبارة أخرى يطلب بها تخصيص الصفة بالموصوف. ومن أمثلة ذلك قول زياد الأعجم في مدح ابن الحشرج:

إنّ السماحة والمروءةَ والنّدى ** في قُبّة ضُربتْ على ابنِ الحَشرَجِ

فإنّ زياداً بهذا البيت أراد أن يُثبت هذه المعاني والأوصـاف للممدوح واختصـاصه بها. ولو شاء أنْ يُعبر عنها بصريح اللفظ لقال: إنّ السماحة والمروءة والندى لمجموعة في الممدوح

أو مقصورة عليه، أو ما شاكل ذلك، ممّا هو صريح في إثبات الأوصاف للمذكورين بها. ولكنّه عدل عن التصريح إلى ما ترى من الكناية والتلويح، فجعل كونَها في القبة المضروبة عليه عبارة عن كونها فيه، فخرج كلامُه إلى ما خرج إليه من الجزالة والفخامة.

إنّ الدلالة في أسلوب الكناية- على تصوّر البلاغيّين- تكون على مستويَيْن متمايزَين ومتلازَمين؛ أوّلهما مستوى الدلالة الوضعيّة بمعناها الحرفيّ، أمّا المستوى الثاني فهو الدلالة على المعنى الغرضيّ المراد، التي ترتدّ إلى دلالة المعنى الحرفيّ في المستوى الأوّل، «فإنْ يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكرُه باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردِفُه في الوجود، فيومئ به إليه ويجعله دليلا عليه مثال ذلك قولهم: هو طويل النجاد يُريدون طويل القامة، وكثيرُ رماد القدر ويعنون كثير القرى (...) فقد أرادوا في ذلك كلّه كما ترى معنى، ثم لمْ يذكروه بلفظه الخاصّ به، ولكنّهم توصّلوا إليه بذكر معنى من شأنه أنْ يُردفه في الوجود.»[1]

إنّ أهمّ ما تميزت به الكناية- في تقدير البلاغيّين- أنّها لا تنافي إرادة الحقيقة بلفظها فلا يمتنع بقولنا: (هو كثير الرماد)، أنّنا نريد المعنى من دون تأوُّل، على خلاف المجاز، الذي لا طريق فيه إلى المعنى المقصود من غير تأوّل، والكناية تأتي على أكثر من لفظ - غالبا- فإذا تفحّصنا أسلوبها ألفَيْناهُ ذا مزيّة أضفتْها على المعنى المُراد، وهي إيراد الشاهد أو الدّليل الذي يُقوّي المعنى، ويَدعم إحساس المتلقّي بالمُحتوى الإبلاغيّ فَضْلا عن المزيّة اللغوية التي تُعدّ من جماليّات اللغة وأناقتها.

ج. تدريب

إليك نصّ من قصيدة "أضحى التنائي" للشاعر الأندلسيّ ابن زيدون، اقرأْهُ، واشرحْ بعض ألفاظه مِن معاجم اللغة العربيّة، ثمّ استخرجْ ما فيه من صور استعاريّة وكنائيّة مُبيّنا نوعَ كلّ صورة، وأثرَها في تجسيد معاني النصّ وغايات الشاعر البلاغيّة.

1- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص60.

أضحى التنائي

[من البسيط]:

أرسل ابن زيدون هذه القصيدة إلى ولادة بنت المستكفي التي كان يتعشقها، يسألها فيها أن تدوم على عهده ويتحسر على أيامهما الماضية.

أضْحَى التّنائي بَديلاً مِنْ تَدَانِينَا، وَنَابَ عَنْ طِيبِ لُقْيَانَا تَجَافِينَا[1]

ألاّ! وَقَد حانَ صُبحُ البَينِ، صَبّحَنا حَيْنٌ، فَقَامَ بِنَا لِلحَيْنِ نَاعِينَا[2]

مَنْ مُبْلِغُ المُلْبِسِينا، بانتزَاحِهِمُ، حُزْناً، مَعَ الدّهرِ لا يَبْلَى وَيُبْلِينَا[3]

أنّ الزّمانَ الذي ما زالَ يُضْحِكُنَا، أُنْساً بِقُرْبِهِمُ، قَدْ عَادَ يُبْكِينَا[4]

غِيظَ العِدَى مِنْ تَساقِينَا الهَوَى فدعَوْا بِأنْ نَغَصَّ، فَقَالَ الدّهرُ آمِينَا[5]

فَانحَلّ مَا كَانَ مَعْقُوداً بِأنْفُسِنَا؛ وَانْبَتّ مَا كَانَ مَوْصُولاً بِأيْدِينَا[6]

وَقَدْ نَكُونُ، وَمَا يُخشَى تَفَرّقُنا، فَاليَوْمَ نَحْنُ، وَمَا يُرْجَى تَلاَقِينَا[7]

يا لَيتَ شِعرِي، ولم نُعتِبْ أعاديَكم، هَلْ نَالَ حَظّاً منَ العُتبَى أعادِينَا[8]

لم نَعتَقِدْ بَعدَكُمْ إلاّ الوَفاء لكُمْ رَأياً، وَلَمْ نَتَقَلّدْ غَيرَهُ دِينَا

مَا حَقّنَا أن تُقِرّوا عَينَ ذِي حَسَدٍ بِنَا، وَلاَ أن تَسُرّوا كَاشِحاً فِينَا

كُنّا نُرَى اليَأسَ تُسْلِينا عَوَارِضُه، وَقَدْ يَئِسْنَا فَمَا لليأسِ يُغْرِينَا

بِنْتُمْ وَبِنّا، فَمَا ابتَلّتْ جَوَانِحُنَا شَوْقاً إلَيكُمْ، وَلاَ جفّتْ مآقِينَا

نَكَادُ، حِينَ تُنَاجِيكُمْ ضَمائِرُنا، يَقضي عَلَينا الأسَى لَوْلاَ تَأسّينَا

حَالَتْ لِفَقْدِكُمُ أيّامُنا، فَغَدَتْ سُوداً، وكانتْ بكُمْ بِيضاً لَيَالِينَا

إذْ جانِبُ العَيشِ طَلْقٌ من تألُّفِنا؛ وَمَرْبَعُ اللّهْوِ صَافٍ مِنْ تَصَافِينَا

وَإذْ هَصَرْنَا فُنُونَ الوَصْلِ دَانِيَةً قِطَافُها، فَجَنَيْنَا مِنْهُ ما شِينَا

لَيُسقَ عَهدُكُمُ عَهدُ السّرُورِ فَما كُنْتُمْ لِأرْوَاحِنَا إلاّ رَيَاحِينَا

من ديوان ابن زيدون.

9. المطابقة. المقابلة

عناصر الموضوع:

أ. المطابقة (الطباق)

ب. المقابلة

ج. تدريب

أ. المطابقة (الطباق)

1- تعريفها:

جاء في كتاب التعريفات[1] أنّ المطابقة هي أنْ يُجمع بين شيئَين متوافقين وبين ضدّيهما، ثم إذا شرطتها بشرط، وَجبَ أنْ تشترط ضدّيهما بضدّ ذلك الشرط، وهي مسلك مِن مسالك البديع، ووجهٌ منه حيث إنّ ((هذه الوجوه ضربان: ضربٌ يرجع إلى المعنى، وضربٌ يرجع إلى اللفظ، أمّا المعنويّ فمنه المطابقة، وتُسمى الطّباق والتضادّ أيضاً، وهي الجمع بين المتضادّين أي معنيَين متقابلين في الجملة، ويكون ذلك إمّا بلفظيْن من نوع واحد، "اسمين" كقوله تعالى: ﴿ **وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ**﴾ [الكهف/ 18] أو "فعليْن"، كقوله تعالى: ﴿ **تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ** ﴾ [آل عمران/26]))[2]

ويُقال لها أيضا: التّطبيق، والطّباق، والتّضادّ. والمطابقة في أصل الوضع اللغويّ أنْ يضع البعيرُ رِجلَه موضعَ يده، فإذا فعل ذلك قيل: "طابق البعير"،[3] وقال الأصمعيّ: المطابقة أصلها وضع الرّجل موضع اليد في مشيِ ذوات الأربع، وقال الخليل بنُ أحمد: طابقتُ بين الشيئين، إذا جمعتُ بينهما على حدّ واحد.[4]

إنّ المطابقة أو الطباق في اصطلاح رجال البديع[5] هي: الجمع بين الضدّين، أو بين الشيء وضدّه في كلام أو بيت شعر، كالجمع بين اسمين متضادّين من مثل: النهار والليل، والبياض والسواد، وكالجمع بين فعلين متضادين مثل: يَسعد ويشقى، ويعز ويذل، وكذلك الجمع بين حرفين متضادّين، نحوُ قوله تعالى: ﴿ **لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ**﴾

1- الجرجانيّ، (علي محمد بن عليّ)، التعريفات، تح: محمد باسل عيون السود، ط2. دار الكتب العلميّة، بيروت: لبنان، 2003، ص216.

2- القزوينيّ، الإيضاح، ص255.

3- يُنظر: أبو هلال العسكريّ، كتاب الصناعتين، ص307.

4- يُنظر: ابن رشيق، العمدة، 2/ 6.

5- يُنظر: نفسُـــه، 2/ 5. **وَيُنظر:** أبو هلال العسكريّ، كتاب الصناعتين، ص307. **وَيُنظر:** عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربيّة، علم المعاني، البيان، البديع، ص494 وما بعدها.

[البقرة / 286]، فالجمع بين حرفيّ الجرّ "اللام /على" مطابقة، لأنّ في "اللام" معنى المنفعة وفي "على" معنى المضرّة، وهما متضادّان، ومثله قول الشاعر:

علىّ أنّني راضٍ بأنْ أحملَ الهوى ** وأخلصَ منه لا عليّ ولا لِيا

وقد تكون المطابقة بالجمع بين نوعين مختلفين كقوله تعالى:

﴿**أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ**﴾ [الأنعام/ 122] فإنّ أحد المتضادّين اسمٌ وهو "ميتا"، والآخر فعلٌ وهو "أحييناه".

1/ أنواعُها:

والمطابقة ثلاثة أنواع[1]:

- **مطابقة الإيجاب**: هي ما صُرّح فيها بإظهار الضدّين، أو هي ما لم يَختلف فيه الضدّان إيجابا وسلبا. ومن أمثلتها بالإضافة إلى الأمثلة السابقة للمطابقة التي تأتي بلفظ الحقيقة قوله تعالى: ﴿ **فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ**﴾ [الفرقان/70]

وقوله أيضا:﴿ **بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ** ﴾ [الحديد/13]

ومنه قول امرئ القيس:

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعاً ** كَجُلْمُوْدِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

- **مطابقة السّلب:** وهي ما لم يُصرح فيها بإظهار الضدّين، أو هي ما اختلف فيها الضدّان إيجابا وسلبا، نحو قوله تعالى: ﴿**هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [الزمر/9]، فالمطابقة هي في الجمع بين "يَعلمون / لا يَعلمون" وهي حاصلة بإيجاب العلم ونفيه، لأنّهما ضدّان. ومنه قول امرئ القيس:

جزعتُ ولم أجزع من البين مجزعاً ** وَعزَّيْتُ قلْباً باكَوَاعِبِ مُولَعَا

فالمطابقة هي في الجمع بين "جزعت ولم أجزع" وهي حاصلة بإيجاب الجزع ونفيه.

- **إيهام التضادّ:** وهو أنْ يُوهم لفظ الضدّ أنّه ضد مع أنه ليس بضدّ، كقول الشاعر:

يُبدي وِشاحاً أبيضَا مِن سِيبِهِ ** والجوُّ قد لبِس الوِشاحَ الأغبرَا

فإن "الأغبر" ليس بضد "الأبيض" وإنّما يوهم بلفظه أنه ضدّ. ومثله قول دُعبُل الخُزاعيّ:

1- يُنظر: عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربيّة، علم المعاني، البيان، البديع، ص497 وما بعدها.

لا تَعجَبي يا سَلمُ مِنْ رَجُلٍ** ضحكَ المشيبُ برأسهِ فبكى

فإنّ "الضحك" ههنا من جهة المعنى ليس بضدّ "البكاء"، لأنّه كناية عن كثرة الشّيب، ولكنّه من جهة اللفظ يُوهم المطابقة.

ب. المقابلة

1/ تعريفها:

جاء في كتاب العمدة [1] أنّ المقابلة هي ترتيب الكلام على ما يَجب، فيُعطى أوّلَ الكلام ما يليق به أوّلا وآخره ما يليق به آخِراً، ويأتي في المُوافق بما يوافقه، وفي المخالف بما يخالفه. وأكثر ما تجيء المقابلة في الأضداد، فإذا جاوز الطباق ضدّين كان مقابلة، مثال ذلك ما أنشده قدامة لبعض الشعراء، وهو:

فيا عجباً كيفَ اتّفقنا فناصحٌ ** وفيٌّ ومطويٌّ على الغلّ غادرُ

فقابل بين النصح والوفاء بالغل والغدر، وهكذا يجب أن تكون المقابلة الصحيحة

وعرّف الخطيب القزوينيّ المقابلة في كتابه التلخيص بقوله: « هي أنْ يُؤتى بمعنيَين مُتوافقَين أو أكثر، ثم بما يقابل ذلك على الترتيب، والمراد بالتوافق خلاف التقابل، وقد تتركّب المقابلة من طباق ومُلحق به، مثال مقابلة اثنين باثنين قوله تعالى: ﴿**فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا** ﴾ [التوبة/82]» [2]

إنّه من التعريفَين السابقَين يمكن القول بأنّ المقابلة هي: أنْ يُؤتى بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة، ثم بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب. وقد اختلف البلاغيّون[3] في أمر المقابلة، فمنهم من يجعلها نوعا من المطابقة ويدخلها في إيهام التضادّ، ومنهم من جعلها نوعا مُستقلّا من أنواع البديع، وهذا هو الأصح، لأن المقابلة أعم من المطابقة. وصحّة المقابلات تتمثل في توخّي المتكلم بين الكلام على ما ينبغي، فإذا أتى بأشياء في صدر كلامه، أتى بأضدادها في عجزه على الترتيب، بحيث يقابل الأوّل بالأوّل، والثاني بالثاني، لا يخرم من ذلك شيئا في المخالف والموافق. ومتى أخلّ بالترتيب كانت المقابلة فاسدة.

1- يُنظر: ابن رشيق، العمدة، 2/ 15.

2- القزوينيّ، الإيضاح، ص259.

3- يُنظر: عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربيّة، علم المعاني، البيان، البديع، ص497 وما بعدها.

2/ أنواعُها:

والمقابلة تأتي على أربعة أنواع على النحو التالي:

- **مُقابلة اثنَين باثنَين**: نحو قوله تعالى: ﴿ **فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا**﴾ [التوبة/82]، ونحو قوله عليه السّلام: (إنّ لله عباداً جعلهم مفاتيحَ الخيرِ مغاليقَ الشرّ)، ومن مقابلة اثنين باثنين في الشِّعر قول النّابغة الجعديّ:

فَتىً كان فيهِ ما يَسُرَّ صَديقَهُ ** عَلى أَنَّ فيهِ ما يَسوءُ الأعادِيَا

- **مُقابلة ثلاثة بثلاثة**: نحو قوله تعالى: ﴿**وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ**﴾ [الأعراف/157] ومن أمثلتها شعراً قول أبي دُلامة:

مَا أَحسَنَ الدين وَالدُنيا إِذا اِجتَمَعا ** وأقبحَ الكُفرَ والإفْلاسَ بِالرّجُلِ

يَا أَمَّةً كانَ قُبْحُ الجوْر يُسْخِطُها دهْرًا ** فأصْبَحَ حُسْنُ العَدْل يُرْضِيها

- **مقابلة خمسة بخمسة**: ومنها قولُ الشّاعر:

بواطئ فوقَ خدّ الصّبحِ مُشتهرُ** وَطائرٌ تحتَ ذيلِ اللّيل مُكتَتِمُ

فالمقابلة هنا بين "واطئ وطائر" لأن الواطئ هو الماشي على الأرض، والطائر هو السائر في الفضاء، وبين "فوق وتخت" و "خد وذيل" لما بينهما من معنى العلوّ والسّفَل، و "الصبح والليل" و "مُشتهر ومُكتتم".

- **مقابلة ستة بستة**: ومنها قول الصّاحب شَرف الدّين الأربليّ:

على رأسِ عبدٍ تاجُ عِزٍّ يزينهُ ** وفي رِجْلِ حرّ قيدُ ذُلٍّ يَشينهُ

فالمقابلة هنا بين "على/ في" وَ "رأس/ رجل" وَ "عبد / حر" وَ "تاج / قيد" وَ "عز / ذل" وَ "يزينه / يشينه"

ويرى علماءُ البديع أنّ أعلى رتب المقابلة وأبلغها هو ما كثر فيه عدد المقابلات شريطة ألّا تؤدي هذه الكثرة إلى التكلف أو توحي به، وإنّ المقابلة بالأضداد أفضل وأتمّ، وهذا هو مذهب السكاكيّ؛ فالمقابلة عنده: أنْ تجمع بين شيئين فأكثر، ثم تقابل ذلك بالأضداد، وإذا شرطت في أحد الشيئين، أو الأشياء شرطا شُرطت فيما يقابله ضدّه.

10.الجناس. السجع

عناصر الموضوع:

أ. الجناس

ب. السجع

ج. تدريب

أ. الجناس

1/ تعريفه:

الجناس من فنون البديع اللفظيّة، وإنّ مِن أوائل من فطنوا إليه عبد الله بن المعتزّ، فقد عدّه في كتابه، ثاني أبواب البديع الخمسة الكبرى عنده وعرّفه بقوله: «التجنيس أنْ تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام، ومجانستها لها أنْ تشبهها في تأليف حروفها.»[1] فمفهوم الجناس عند ابن المعتز، مقصور على تشابه الكلمات في تأليف حروفها، من غير إفصاح عما إذا كان هذا التشابه، يمتد إلى معاني الكلمات المتشابهة الحروف أم لا.

فالجناس، بهذا، هو تشابه اللفظين في النطق واختلافهما في المعنى، وهذان اللفظان المتشابهان نطقا المختلفان معنى يُسميّان "ركنا الجناس"، ولا يشترط في الجناس تشابه جميع الحروف، بل يكفي في التشابه ما تُعرف به المجانسة.[2]

2/ أقسامُه:

ينقسم الجناس قسمَين: **تامّ** و**غير تامّ**؛ فالجناس التامّ هو ما اتّفق فيه اللفظان في أمور أربعة هي: أنواع الحروف، وعددُها، وهيئتُها الحاصلةُ من الحركات والسّكنات، وترتيبُها. وهذا هو أكمل أنواع الجناس إبداعا وأسماها رُتبة.

***الجناس التامّ:**

وينقسم الجناس تامّ بدوره ثلاثة أقسام هي: المماثل، والمُستوفى بفتح الفاء، وجناس التركيب.

- **الجناس المماثل**: وهو ما كان ركناه أي لفظاه من نوع واحد من أنواع الكلمة، بمعنى أنْ يكونا اسمَين، أو فعلَين، أو حرفَين. ومن أمثلة الجناس المماثل بين "اسمين" قوله تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ**﴾[الروم/55] فالجناس هنا بين اسمَين متماثلين في كل شيء هما "السَّاعَةُ وساعَةٍ" الأوّل بمعنى القيامة، والثاني بمعنى مطلق الوقت. ومنه قولُ المَعَريّ:

1- ابن المعتزّ، البديع، تح: إغناطيوس كراتشقوفسكي، ط3. دار المسيرة، بيروت، لبنان، 1982ص25.

2- يُنظر: عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربيّة، علم المعاني، البيان، البديع، ص613 - 614.

تَقُولُ أَنْتَ امْرُؤٌ جَافٍ مُغَالَطَةً ** فَقُلْتُ لاَ هَوَّمَتْ أجْفانُ أجْفَانَا

فأجفانٌ الأولى اسـم، وهو جمع واحده جَفنٌ وهو غطاء العين، والثاني اسـم تفضـيل بمعنى أكثرنا جفاء. فالجناس بين متماثلين لفظا مختلفين معنى. وقول البحتريّ:

إِذَا العَيْنُ رَاحَتْ وَهْى عَيْنٌ على الهَوَى *** فَلَيْسَ بسرٍّ مَا تُسِرُّ اَلأَضَالِعُ

فالعين الأولى الباصـرة، والثانية الجاسـوس، ومن أمثلة الجناس المماثل بين "فعلين"، قولُ أبي محمّد الخازن:

قومٌ لَوَ انَّهمُ ارتاضوا لما قرَضوا ** أَو أنَّهم شَعروا بالنَّقصِ ما شعرُوا

إنّ "شعروا" الأولى بمعنى أحسّوا، و "شعروا" الثانية بمعنى نظموا الشّعر.

- **الجناس المُسـتوفَى**: هو ما كان ركناه، أي لفظاه، من نوعين مختلفين من أنواع الكلمة، بأنْ يكون أحدهما اسما والآخر فعلا، أو بأنْ يكون أحدهما حرفا والآخر اسما أو فعلا؛ فمن أمثلة الجناس المُستوفى بين الاسم والفعل قول محمّد بن كنّاسة في رثاء ابنٍ له:

وسمَّيتُهُ يحيى لِيَحْيَا ولم يكنْ** إلى ردّ أمرِ الله فيه سبيلُ

تيّممتُ فيه الفأل حين رُزِقتُهُ ** ولمْ أدرِ أنّ الفألَ فيه يَفيلُ

فالجناس هنا بين "يحيى" الاسـم و "ويحيا" الفعل، وهما متشـابهان لفظاً مختلفان معنىً ونوعاً؛ إذ إنّ الفأل هو ضدّ الطيرة، وهو لا يكون إلّا فيما يُستحبّ، ويفيل بمعنى يُخطئ.

- **جناس التركيب**: وهو ما كان أحدُ ركنَيه كلمة واحدة والأخرى مُركّبة من كلمتين، ومِن أمثلته قول الشاعر:

إذا مَلِكٌ لمْ يكنْ ذا هِبَه ** فَدَعْهُ فَدولتُهُ ذاهِبَه

وقول الشاعر:

يا سيّداً حـازَ رقـي. ** بما حَبـَاني وأوْلـَـى

أحسنـتَ برّا فقل لي ** أحسنتُ في الشّكر أوْلا

فالجناس بين "أولى" وهي كلمة مفردة فعل بمعنى منح وأعطى، وبين "أولا" وهي كلمة مركّبة من "أو" العاطفة و "لا" النافية.

***الجناس غيرُ التامّ:** هو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور الأربعة آنفة الذكر، والتي يجب توافرها في الجناس التامّ، وهي: أنواع الحروف، وعدُدها، وهيئتُها الحاصـلةُ من الحركات والسكنات، وترتيبُها.

فمثال الأمر الأوّل قولُه تعالى: ﴿ **وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ** ﴾[الأنعام/ 26]

فمثال الأمر الثاني قولُه تعالى: ﴿ **وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ** ﴾ [القيامة/ 29 - 30] . ومثال الأمر الثالث قولُ ابنِ الفارض:

هَلّا نَهَاكَ نُهاكَ عن لَوْم امـرئٍ ** لمْ يَلْـفَ غيـــرَ مُنعم بشقـــاءِ

وفي قول المعريّ:

والحُسنً يظهر في بيتين رونقَه ** بيتٌ مِنَ الشِّعر أو بيتٌ من الشَّعرِ

أمّا مثال الأمر الرابع فقولُ الشاعر:

فَبِحقّي عليكَ يا مَن سَقاني ** أَرَحيقاً سَقيتَنِي أمْ حَريقا

فالجناس بين "رحيقا" و "حريقا" فالاختلاف هو في ترتيب الحرفين الأوّلين منهما.

ب. السجع

1/ تعريفه:

السـجع هو توافق الفاصـلتين من النثر على حرف واحد، وهذا هو معنى قول السكاكيّ: «الأسجاع في النثر كما في القوافي في الشّعر ومن جهاته الفواصل القرآنيّة.»[1]

والأصـل في السـجع إنّما هو الاعتدال في مقاطع الكلام، والاعتدال مطلوب في جميع الأشـياء والنفس تميل إليه بالطبع، ومع هذا فليس الوقوف في السـجع عند الاعتدال فقط، ولا عند توافق الفواصـل على حرف واحد هو المراد من السـجع، إذ لو كان الأمر كذلك لكان كلّ أديب من الأدباء سَجّاعا [2].

وإنّما ينبغي في السـجع بالإضـافة إلى ما تقدم أن تكون الألفاظ المسـجوعة حلوة حادّة لا غثّة ولا باردة. والمراد بغثاثة الألفاظ وبرودتها، أنّ صـاحبها يصـرف النظر إلى السجع نفسه، من غير نظر إلى مفردات الألفاظ المسجوعة وتراكيبها، وما يشترط لكليْهما من صفة الحُسن.

1- السكاكيّ، مفتاح العلوم، ص542.

2- يُنظر: عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربيّة، علم المعاني، البيان، البديع، ص633 وما بعدها.

فإذا صـفِي الكلام المسـجوع من الغثاثة والبرودة فإنّ وراء ذلك مطلوباً آخر، وهو أنْ يكون اللفظ فيـه تـابعـا للمعنى لا أن يكون المعنى فيـه تـابعـا للفظ، وإلا كان كظاهر مُموّه على باطن مشوّه.

فإذا توافرت هذه الأمور فإن وراءها مطلوبا آخر، وهو أن تكون كل واحدة من الفقرتين أو السـجعتين المزدوجتين دالة على معنى، غير المعنى الذي اشـتملت عليه الأخرى. فإنْ كان المعنى فيهمـا سـواءً فذاك هو التطويل بعينـه، لأنّ التطويل إنّمـا هو الـدلالـة على المعنى بـألفاظ يُمكن الـدلالـة عليـه بـدونهـا، وإذا وردت سـجعتـان تـدلّان على معنى واحـد، كـانت إحداهما كافية في الدلالة عليه.

2/ أقسامُه:

والسّجعُ ليس صـورة واحدة، وإنّما يأتي في الكلام على أربعة أضرب، المُطرَّف، والمُرصَّع، والمُتوازي، والمُشطَّر.

- **المُطرّف**: هو مـا اختلفتْ فيه الفاصـلتان أو الفواصـل وزناً وأنْ يرد في أجزاء الكلام سجعات غير موزونة عروضيّاً، بشرط أن تكون فاصلتُها موحّدة نحوُ قوله تعالى:

﴿ **مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا** ﴾ [نوح/ 13 - 14]

- **التّرصـيع**: وهو عبـارة عن مقابلة كل لفظة من فقرة النثر أو صـدر البيت بلفظة على وزنها ورويّها. ومن أمثلته الشعريّة قول أبي فراس الحمدانيّ:

وأفعالُنا للراغبين كَرامةٌ ** وأموالُنا للطالبين نِهابُ

ومنه قول الشاعر:

فيا يومَها كمْ مِن مُنافٍ مُنافقٌ ** ويا ليلَها كمْ من مُوافٍ مُوافقُ

فبيتُ أبي فراس السـابق خالٍ من تصـريع العروض والضـرب، والشـاهد الثاني كرّر فيه ناظمُه حرفَ النّداء، فدخل عليه الحشو.

- **المُتوازي**: وهو أن تتّفق اللفظـة الأخيرة من القرينـة مع نظيرتهـا في الوزن والروي، والقرينـة هي الفقرة، وسُـمّيت الفقرة كذلك، لأنها تقارن أختها. ومنـه قولُ الحريريّ في المقامات: "ألجأني حكمُ دهر قاسط إلى أنْ أنتجع أرض واسط"، وقوله: "وأودى بي الناطقُ والصامت، ورثى لي الحاسد والشامتُ."

ج. تدريب

1- بيّن مواضعَ الطباقِ في الأمثلة الآتية، وَوَضّحْ نوعَه في كل مثال:

- قال تعالى :﴿**أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ**﴾ [الأنعام/ 122]
- وقال شاعرٌ: على أنّني راضٍ بأنْ أَحْمِـلَ الهوَ ** ـى وأَخْرُجَ مِنْـــهُ لاَ عليّ ولا لِياً
- وقال البحتريُّ:

تُقَيّضُ لي من حيثُ لا أعلَمُ النّوَى ** وَيَسْرِي إليّ الشّوْقُ من حَيثُ أعلَمُ

- وقال المُقنَّع الكندِيُّ:

لهُمْ جُلُّ مالِي إنْ تَتَـــابِعَ لِي غنىً ** وإنْ قَلَّ مالِي لَمْ أُكَلِّفْهُـــمُ رِفْدا

- وقال تعالى: ﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ**﴾ [الروم/ 6 -7]
- وقال تعالى: ﴿**لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ**﴾ [البقرة/ 286]
- وقال السَّمَوْأَل: سَلِي إنْ جَهِلْتِ النَّاسَ عَنَّا وعَنْهُمُ ** فلَيْسَ سَواءً عالِمٌ وجَهُولُ
- وقال الفَرَزْدَقُ يهجو بني كُلَيْب:

قَبَحَ الإلَـــــهُ بَني كُلَيْبٍ إنّهُمْ ** لا يَغْدِرُونَ وَلا يَفُـونَ لِجَارِ

2- بيّن مواقعَ المقابلةِ فيما يأْتي.

- قال تعالى :﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُـــولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ**﴾ [الأعراف /157]
- وقال جريرٌ: وباسِطَ خيرٍ فيكُمُ بيمينِه ** وقابِضَ شرٍّ عنكُمُ بشِمالِيا
- وقال البحتريُّ: فإذا حَارَبُـــوا أذَلّوا عَزِيزاً ** وإذا سَالَمُوا أعَزّوا ذَليـــلا
- وقال شاعر: وَمَنظَرٍ كانَ بالسّرّاءِ يُضْحِكُني ** يا قُرْبَ مَا عادَ بالضّرّاءِ يُبكيني
- وقال تعالى: ﴿**لِّكَيْلَا تَأْسَـــوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾ [الحديد /23]

- وقال تعالى: ﴿**يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ**﴾ [الحديد /13]
- وقال النابغة الجعديُّ: فَتًى كان فيه ما يَسرُّ صديقَهُ ** على أَنَّ فيهِ ما يسوءُ الأَعادِيَا

3- بيِّن الجناس، وسمِّ نوعه في الشواهد التالية.

قال تعالى: ﴿**ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ**﴾ [غافر/75]

قال شاعر: فَهمتُ كتَابك يا سيِّـــــدي** فَهمْتُ ولاَ عجبٌ أنْ أهِيـما

-

وقال آخر: فَيا راكِبَ الوجناء هل أنت عالِمٌ ** فداؤك نفسي كيف تلكَ المعالِمُ

-

- وقال آخر: فيالك مِنْ حزمٍ وعزمٍ طواهما ** جديد الرّدى بيْن الصّفا والصّفائح

- وقال آخر:

لا أُعْطي زِمامي مَن يُخْفرُ ذِمامي** ولا أغرسُ الأيادي في أرضِ الأعادي

- وقال آخر:

لهُمْ في السيرِ جِرْيَةُ السّيلِ ** والى الخيرِ جرْيُ الخَيلِ

- وقال آخر:

بيضُ الصفَائح لا سُودُ الصَّحائِفِ في ** مُتُونِهن جلاءُ الشَّكِّ والريبِ

- وقال آخر:

ولم أَرَ كالمعروف تُدعى حقوقه ** مَغَارمَ في الأقوام وَهْيَ مَغَانِمُ

11.البلاغة والأسلوبيّة

عناصر الموضوع:

أ. الأسلوبيّة

ب. ما بين البلاغة والأسلوبيّة (نظريّة النظم)

ج. تدريب

أ. الأسلوبيّة

يكادُ مفهوم الأسلوبيّة أنْ يتوحّد في عُرف الدارسين[1] الاصطلاحيّ على أنّها علم تحليليّ، يَهدف إلى دراسة مكوّنات الخطاب الأدبي وتحليلها، كما أنّها قابلة لاستثمار المعارف المتّصلة بدراسة اللغة، ولغة الخطاب الأدبيّ على الخصوص، وذلك لأنَّها مناهجُ متعدّدة الاختصاصات.

ويبدو جوهر التفريق بين الأسلوبية (علم الأسلوب) والبلاغة (بالمفهوم التقليدي)، في أنّ البلاغة علم معياريّ، يُرسل الأحكام التقييميّة ويرمي إلى (تعليم) مادّته وموضوعه، بينما تنفي الأسلوبيّة عن نفسها كل معياريّة، وتَعزُفُ عن إرسال الأحكام التقييميّة بالمدح أو التهجين، والبلاغة ترمي إلى خلق الإبداع بوصاياها التقييميّة بينما تسعى الأسلوبيّة إلى تعليل الظاهرة الإبداعيّة.[2]

وَإنّ الأسلوبية بتمايزها من اللسانيّات من جهة، ومن البلاغة المعياريّة من جهة ثانية، تختص بـ (الأسلوب Style) مادةً وموضوعًا، وتقتصر غايتها على صاحب الأسلوب، من حيث هي تُبيِّن طريقة تفكيره وكيفيّة نظره إلى الأشياء، لذلك، اتّجه علمُ الأسلوب اتّجاهاتٍ ومَنَازعَ في تحديد ماهية الأسلوب، هذه الماهيّة ما ((يُفضي بنا إلى اعتبار الأسلوب جسرًا ثانويًّا يقام إلى جسر أصليّ (...) معنى ذلك أنّ الحدث اللسانيّ تركيب لعلامات اللغة في معادلة من الدرجة الأولى، بينما يكون الأسلوب تركيبًا لها في معادلة من الدرجة الثانية، ولعلّ خيرَ ما يُفصح عن هذا المدلول أنْ نعتبر الأسلوب نظاما علاميّاً في صلب نظام علاميّ آخر.))[3]

وإنّ الحديث عن الأسلوبيّة في مستوى التنظير لهذا العلم، يجعلنا أمام مشكلات تخصّ بالذات ماهيّة الأسلوب (مادّة الدراسة)، فالأسلوب- وإنْ كان ذا طبيعة لغويّة- فهو يتوارى في ثنايا مجالات عديدة؛ نفسيّة، فلسفيّة، دينيّة، وأدبيّة، فأمّا اهتمام الأسلوبية بالنّصوص الأدبيّة، فكان بفضل ما عُوّل عليه من أدوات لسانية مختصّة، ولهذا أمكن

1- يُنظر مثلاً: نور الدين السدّ، الأسلوب والأسلوبيّة، تحليل الخطاب، د/ط. دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 07/2.

2- يُنظر: عبد السلام المسدّي، الأسلوب والأسلوبيّة، ط2. الدّار العربية للكتاب، تونس، 1982، ص52 و53.

3- نفسُـــه، ص77.

القول بأنّ استعانة الأسلوبيّة على النصّ (الخطاب) بأدوات لسانيّة من قَبيل استعانة اللسانيّات على اللغة بأدوات غير لسانيّة.

وممّا لا شكَّ فيه أنّ للنحو- بوصفه مستوى لغويًّا- أثراً بالغاً في التحليل الأسلوبيّ، فتُعَدّ الجملة- كونُها الوحدة الأساسيّة في الدرس النحويّ- أساسًا ورُكنًا ركينًا في بناء النصّ أُسلوبيًا، إنّها اللبنة الأولى الداخلة في تركيبه، ففي مستوى الكلام يتجلّى مبدأ الاختيار التركيبيّ الذي يُجيزه نظام اللغة، والأسلوبيّة تَلفتُ النظر إلى الاستعمالات الأسلوبيّة المميّزة، كالتّشابُه، والتّرادُف، والمعنى المجازيّ، وقُوّة الإيحاء، والحذف والإضمار، والتفكك وسوى ذلك. (1)

أمّا عند دراسة ظاهرة التركيب الأسلوبيّ للخطاب، فإن عمليّة التحليل الأسلوبيّ تبدأ من وصف خصائص التركيب مستعينةً بعلم النحو، ولا تقف عند حدود الجملة، بل تتجاوز إلى تركيب الخطاب كلّه، باحثةً عن خصائص انسجامِه واتّساق نظام علاقات أجزائه ببعضها وطبيعةِ أدائها لوظائفها.(2)

أ. ما بين البلاغة والأسلوبيّة (نظريّة النظم)

يبدو ذلك التمايُز ما بين البلاغة العربيّة والأسلوبيّة طبيعيّا، بالنظر إلى ما أقرّتْهُ الحِقبُ الزمانيّة السحيقة من انفصال ما بين المجالَين، إذ إنّ البلاغة التقليديّة بشكل عامّ، والعربيّة بخاصّة، تختلفُ في منطلقاتها وأهدافها عن الأسلوبيّة، حيث تهدف الأولى إلى توجيه المتكلّم إلى النموذج المثاليّ للأسلوب البليغ، في حين تستهدف الثانية الأسلوبَ ذاتَه بالدراسة والتحليل، دون إقرارٍ منها لنموذج مُحدّد.

وبالرغم من هذه الحقيقة الدامغة، التي هو عليها التراث البلاغيّ العربيّ في عمومه، لا يُنكرُ كلّ ذي عينٍ جهودَ بعض البلاغيّين القُدامى، في تجاوُز معياريّة البلاغة السكّاكيّة، التي استقرّتْ في كتابه مفتاح العلوم، ولعلّ هذا المفتاح كان مِغلاقا لنظريّة أسلوبيّة، كادتْ تستقرّ عند عبد القاهر الجرجانيّ، صاحب قصَب السَّبق في نظريّة النَّظم،

1- يُنظر: نور الدين السدّ، الأسلوب والأسلوبيّة، 1/ 63.

2- يُنظر: نفسُـــه، 2/ 8 و170 - 171 - 172.

وهي ما طبَعَ جهودَ الرّجل في مؤلّفَيه الذائعَين (الدلائل والأسرار)، وهو جَهدٌ لا يزال بحاجة إلى أنْ يُتأمّل، ويُدرسَ، ويُتناول بأكثر مِن نظر.

هذا، وقد أعطى الجرجانيّ النحوَ بُعدا لا يُستهان به في الدرس اللغويّ؛ إذْ سلك به طريقا يجمع ما بين القانون الذي لا يقبل النقض، والدلالة الإضافيّة المطويّة في التراكيب اللغوية « وبات واضحًا لكلّ ذي عين أنّ التركيب النحويّ يُطلق ولا يراد معناه الأصليّ، وهذا غيرُ مُراد في البحث البلاغيّ، وإنّما المرادُ ما يدلّ عليه التركيب ضمن المعاني الثانية، وهذا هو بَحثُ البلاغيّين وموضوع فنِّهم.»[1]

ويُساوي الجرجانيّ بين الأسلوب، والنّظم، والتأليف، وحُسْنُ الأوّل مرهون بحُسن الثاني، والصّورة الفنيّة المجتمعة من اللفظ والمعنى، أشبهُ بعملية الصياغة أو بالوَشْي الحرفيَيْن فيقول معرِّفا النّظم: « واَعلمْ أنْ ليس النَّظم إلا أنْ تضع كلامَك الوضع الذي يقتضيه علمُ النحو، وتعملَ على قوانينه وأصوله، وتعرفَ مناهجه التي نُهجت، فلا تزيغ عنها، وتحفظَ الرّسوم التي رُسمت لك، فلا تُخلَّ بشيء منها، وذلك أنَّا لا نعلم شيئا يبتغيه النّاظم بنظمه، غيرَ أنْ يَنظر في وجوه كلّ باب وفُروقه. »[2]

إنّنا نستخلص من هذا النص مفاهيم أساسيّة لتصوّر الجرجانيّ للجملة، فالنحو أساس العبارة اللغوية بوصفه هيكلا أساسيّا (البنية المركزية الثابتة)، ومعنى العبارة هو ما يسعى إليه المُتكلم من هذه العبارة، ذلك أنّ صُلب البلاغة هو النَّحو. فالأسلوب ضَربٌ من النّظم وطريقة فيه، ويجب أنْ يتوخّى فيه المُبدع اللفظ لمقتضى التفرّد الذاتيّ، وأنّ النحو قاعدة كلّ نَظم، لا بوصفه أداة أسلوب فحسب، وإنّما جعَل منه مُستفتَحا لما استُغلق من المعنى. ثُمّ إنّ مفهوم الإعراب لدى الجرجانيّ لا ينتهي فيه إلى مفهوم الموقع أو المحلّ من الجملة، أو نسبته من الجملة من سابقه أو لاحقه رفعا أو نصبا أو جرًّا، بل يتعدّاه إلى المفهوم الدلاليّ الذي تقتضيه حصافة المخاطَب الذي قويَت ملكته البلاغيّة.

وما من شك في أنّ النَّظم- بهذه الصورة- يستدعي حضورا عقليّا واستعمالا منطقيّا للغة، فلا يقوم الإبداع إلاّ على جملة من المراحل الواعية، ينتظمها الأسلوب الفنيّ، بدْءا من الذهن وتصوّراته للمعنى، ووُصولا وانتهاءً إلى التمثيل المنطوق.

1- عبد الفتاح لاشين، التراكيب النحويّة من الوجهة البلاغيّة عند عبد القاهر الجرجانيّ، ص227.

2- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص70.

فقد لخّص الجرجانيّ أبواب النحو كُلّها من خلال نظره في تعلّق الاسم بالفعل وتعلّق الاسم بالاسم، وتعلّق الحرف بهما، وفقا لمتطلبات السياق اللغويّ والصّور التي يرمي إلى بيانها المتكلم، إفصاحا عن غايته ومقصده.

إنّه يمكن التمييز- بناءً على تصوّر الجرجانيّ للنّظم- بين نظمَين على قدر من الاختلاف؛ نظم نمطيّ مجرّد تستقيم به التراكيب استقامة نحويّة، تتأدّى بها المقاصد والأغراض، وذلك هو مرجع أيِّ كلام، « ومن ثمّة كانت إشارة الجرجانيّ إلى أنّه لا يُتصوّر فيه نقصٌ أو زيادة. » [1] أمّا النّظم الثاني، فهو نظم فنِّي، تسمو فيه الدلالة إلى ما يصفه- بالمزيّة والفضيلة والشّرف؛ إذْ هو مستوى مهارة وإضافة أسلوبيّة، تضاف إلى مستوى الصّحة النّحوية، « فالنظوم والأساليب الفنيّة لا ترقى مُحلِّقة في أجواء الفنّ، إلا إذا استقامتْ حركتُها أوّلاً في أرض النّحو. » [2]

إنّ أسلوبيّة النّظم لدى عبد القاهر الجرجانيّ قدْ أعطتِ العمليّة الإبداعيّة أبعادًا مُطلقة في جوهرها، إذ لم يُشر الجرجانيّ إلى علم المعاني مُستقلا عن الأدوات البلاغيّة الأخرى، « فكلّ ما ينضوي تحت هذه العلوم وسيلة من وسائل النظم، والنحو ملاكُ اللغة وروحُها، وكلّ الفنون البلاغيّة وسائل للوصول للمعنى الأطرف ذي الشكل الأمثل. » [3]

ويمكن أنْ نَعُدّ نظرية النظم أخطر ما كُتب في البلاغة العربيّة، « وهي بلا شكّ نواة صالحة لإقامة (علم أسلوب/ Stylistics)عربيّ. » [4]

ج. تدريب

أعقِدْ مُقارَنةً ما بين البلاغة العربيّة والأسلوبيّة الغربيّة، على أنْ تكون قضيّة "المجاز" محورَ المقارنة.

1- حسن طبل، المعنى في البلاغة العربية، ص11.

2- المرجع نفسه، ص11.

3- منير سلطان، بلاغة الكلمة والجملة والجمل، ص15.

4- محمود أحمد نحلة، في البلاغة العربية "علم المعاني"، ط1. دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، 1990، ص38.

المصادرُ والمراجع

أوّلا: القرآن الكريم، برواية الإمام ورش.

ثانيا: المصادر والمراجع:

1. ديوان البحتريّ تح: حسين كامل الصيرفيّ، ط3. دار المعارف، القاهرة، مصر، د/ت.
2. صالح بلعيد، التراكيب النحويّة وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجانيّ، د/ط. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1994.
3. التهانويّ، كشّاف اصطلاحات الفنون، تح: عليّ دحروج، ط1. مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، 1996.
4. الجرجانيّ، (علي بن محمد السيّد الشريف الجرجانيّ) التعريفات، تح: محمد باسل عيون السود، ط2. دار الكتب العلميّة، بيروت: لبنان، 2003.
5. عبد القاهر الجرجانيّ، أسرار البلاغة، تح: محمد رشيد رضا، د/ط. دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1994.
6. عبد القاهر الجرجانيّ، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمّد شاكر، د/ط. مكتبة الخانجيّ، القاهرة، مصر، د/ت.
7. حسين جمعة، جمالية الخبر والإنشاء، د/ط. منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، سوريا، 2005.
8. الزمخشريّ، الكشّاف، تح: محمد مرسي عامر، ط2. دار المصحف، القاهرة، مصر، 1977، ج5.
9. حسن طبل، المعنى في البلاغة العربية، د/ط. دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1998.
10. السُّبكيّ، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تح: خليل إبراهيم خليل، ط1. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،2001.
11. نور الدين السدّ، الأسلوب والأسلوبية، تحليل الخطاب، د/ط. دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ج1، ج2.

12. السكّاكيّ، مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هنداوي، ط1. دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 2000.
13. منير سلطان، بلاغة الكلمة والجملة والجمل، د/ط. منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1998.
14. السّيوطيّ، الإتقان في علوم القرآن، تح: (بقلم) محمد بن عمر بن سالم بازمول، ط1. دار الهجرة للنشر والتوزيع الرياض، السعودية، 2005
15. أبو هلال العسكريّ، كتاب الصناعتين تح: عليّ محمّد البجاوي وَمحمّد أبو الفضل إبراهيم، ط1. دار إحياء الكتب العربيّة عيسى البابي الحلبيّ وشركاه، القاهرة، مصر، 1952.
16. أيمن أمين عبد الغنيّ، الكافي في البلاغة، البيان والمعاني والبديع، د/ط. دار التوفيقيّة للتراث، القاهرة مصر،2011.
17. عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربيّة، علم المعاني، البيان، البديع، د/ط. دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د/ت.
18. بوعافية محمّد عبد الرزّاق، البلاغة العربيّة والبلاغات الجديدة، قراءة في الأنساق بين التراث والمعاصرة، د/ط، مؤسّسة حسين رأس الجبل للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر 2018.
19. عبد الهادي الفضيليّ، خلاصة علم الكلام، ط2. دار المؤرّخ العربيّ، بيروت، لبنان، 1993.
20. ابن رشيق القيروانيّ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: محمّد مُحي الدين عبد الحميد، ط5. دار الجيل، القاهرة، مصر،1981، ج1. ج2.
21. القزوينيّ، الإيضاح في علوم البلاغة، تح: إبراهيم شمس الدين، ط1. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003.
22. سيّد قطب، في ظلال القرآن، ط35. دار الشروق، القاهرة، مصر، 2005، ج2، ج19، ج29.
23. عبد الفتاح لاشين، التراكيب النحويّة من الوجهة البلاغيّة عند عبد القاهر الجرجانيّ، د/ط. دار الجيل للطباعة والنشر، القاهرة مصر، 1980.

24. عبد الفتاح لاشين، المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم، ط4. دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 2000.
25. ابن المعتزّ، البديع، تح: إغناطيوس كراتشقوفسكي، ط3. دار المسيرة، بيروت، لبنان 1982.
26. ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد السلام محمّد هارون، ط1. دار صادر، بيروت، لبنان، د/ت.
27. أحمد مصطفى المراغيّ، علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، ط3. دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، د/ت.
28. مازن المبارك، الموجز في تاريخ البلاغة، د/ط، دار الفكر، دمشق سوريا، د/ت.
29. ديوان المتنبّي، د/ط. دار بيروت، 1983.
30. عبد السلام المسدّي، الأسلوب والأسلوبيّة، ط2. الدّار العربية للكتاب، تونس، 1982.
31. عوّاد بن عبد الله المعتق، المعتزلة ومبادئها الخمسة وموقف أهل السنّة منها، ط2، مكتبة الرشد، الرياض، 1995.
32. محمود أحمد نحلة، في البلاغة العربية "علم المعاني"، ط1. دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، 1990.
33. السيّد الهاشمي جواهر البلاغة، ط1. مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، لبنان، 2008، ج1.